بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 20 ديسمبر 2018

النشأة الدّينيّة والاقتصاديّة للزواج
منذ عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخيّ القديم

ميادة كيالي
باحثة سورية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

النشأة الدّينيّة والاقتصاديّة للزواج
منذ عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخيّ القديم[1]

1- هو عنوان الفصل الثاني من كتاب: ميّادة الكيّالي، هندسة الهيمنة على النساء (الزواج في حضارات العراق ومصر القديمة)، المركز الثقافي للكتاب، ط1، 2018، ص- ص15-52. ويتوقف الملخّص عند المبحث الأوّل من الفصل: كيف ظهر الزواج، ص 15- 37.

الملخّص:

بهذا الشوق العارم لقضيّة المرأة، ومن منظور جندريّ، تواصل الباحثة ميّادة الكيّالي اشتغالها، الذي بدأته في كتابها المرأة والألوهة المؤنّثة في حضارات بلاد الرّافدين، على تاريخ المرأة، وتتوغّل في الحفر عن منابت الهيمنة الذكوريّة الرّاهنة في إحدى المؤسّسات الاجتماعيّة الصانعة لهذه الهيمنة، ألا وهي مؤسّسة الزواج، في اثنتين من أقدم الحضارات الشرقيّة القديمة هما: حضارة بلاد الرّافدين، وحضارة وادي النّيل، وفي فترة مفصليّة من تاريخها هي فترة الانقلاب الذكوريّ المزامن للعصر الحجريّ النحاسي الكالكوليت.

وتحت عنوان الفصل الأوّل من الكتاب، وفي مبحثه الأوّل، اهتمّت بالمسار التاريخيّ لظهور مؤسّسة الزواج وتحوّله إلى مؤسّسة ضبط اجتماعيّة، خاضعة من ناحية لقوانين المجتمع وأعرافه ومحدّداته الدينيّة والاقتصاديّة، ومكرّسة لها من ناحية أخرى. وبهذه الصورة كان الزواج حاملاً من حوامل الهيمنة الذكوريّة أثناء تحوّله الاجتماعيّ التاريخيّ. ولكشف دور الاجتماع والتاريخ في هذا التحوّل، درست الباحثة تاريخ الزواج منذ ظهوره، وعلاقته بالدين وبالاقتصاد، ومكانته وغاياته، وتطوّره التدريجيّ نحو صورة الزواج الأحاديّ، الذي كان تعبيراً عن بداية الانقلاب الهيمني الذكوري في وضع المرأة، بما كان يعنيه من بداية لهذه الهيمنة على المرأة بدأت بتقييد جنسانيّتها، وحصرها في وظيفة اجتماعيّة بيولوجيّة هي وظيفة الإنجاب الضامن لاستمرار النّسب.

لتأكيد أطروحتها هذه حول انقلاب ذكوريّ صنع هيمنة الرجل منذ العصر الحجري النحاسيّ، وكان للمجتمع الدور البارز فيه عبر مأسسة الزواج الأحاديّ، كان على الباحثة في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل أن تخوض التحليل في عدّة مطالب فرعيّة. كان أوّلها البحث في تاريخ الزواج أو أصل العائلة، وقد كشفت فيه استناداً إلى أبحاث باخوفن، وأنجلز، وويسترمارك، وليرنر خاصّة، تاريخ الأموميّة السابق للهيمنة الذكوريّة. وكان ثاني هذه المطالب تبرئة للدّين من أن يكون مسبّب هذه الهيمنة، فبحثت لذلك في العلاقة بين الدّين والزواج من خلال الأديان والأساطير القديمة، وبيّنت أنّها كانت تمنح المرأة منزلة عليا، قبل أن تساير الأديان على التدرّج بداية تحوّل وضعيّتها اجتماعيّاً. أمّا ثالث المطالب، فتعلّق بعلاقة الزواج بالمقدّس، وقد بيّنت فيه الباحثة الانزياح الذي مارسه المجتمع الذكوريّ بواسطة الزواج على ممارسة الجنس الدّينيّة القديمة ليسميّها دعارة أحكم بواسطتها قبضته على المرأة.

عبر هذه المطالب جميعاً كان الزواج هو المحور الذي تابعت الباحثة من خلاله بروز الهيمنة الذكوريّة على المرأة، فيما سمّته انقلاباً ذكوريّاً.

المبحث الأوّل: كيف ظهر الزواج؟

المطلب الأوّل: ما قبل الزواج:

الزواج، بمفهومه المعاصر، مرّ بأطوار عديدة وتحوّلات اشتملت على أزمان طويلة حتى استقرّ على اعتباره ارتباطاً بين طرفين تكون بينهما علاقة جنسيّة مقبولة ومعترف بها في المجتمع هدفها الإنجاب والمتعة، وفق قوانين أو تقاليد اجتماعيّة أو تشريعات دينيّة.

وقد تكون تلك القوانين نابعة بشدّة من أصول الاجتماع من خلال مجموعة من الأعراف تمّ التعاقد عليها عبر الزمن، وتحوّلت إلى قواعد مدنيّة تحكم أصول الزواج ومحدّداته، وكلّ ما له علاقة به. وقد توصّلت البشريّة إلى هذا النمط الأخير بعد سلسلة من التحوّلات التي شهدتها العلاقة بين الرجل والمرأة من جهة، والعلاقة مع الأبناء أو العائلة من جهة أخرى.

فمن المشاعيَّة، التي كانت عليها المجتمعات البدائيَّة، والتي قد يؤيّد فكرة انتشارها جمهور واسع من الباحثين والمؤرّخين، ويرفضها أيضاً، في الوقت نفسه، جمهور عريض، إلى التعدديّة، ومن ثمّ الأحاديّة. وكانت تلك التحوّلات مرهونة بالتطوّر الذي مرّت به الإنسانيّة؛ إذ كان للعلاقات الاقتصاديّة ووسائل الإنتاج وأدواته الدور الأكبر في رسم كلّ ما تبعها من قوانين شذّبت العلاقة بين الرجل والمرأة، وأرست مفاهيم اتّكأ عليها تاريخ الاجتماع البشري حتى العصر الحالي، فارضة نوعاً من الحتميّة البيولوجيّة على أدوار كلا الطرفين، ما خلق تبايناً واضحاً في تراتبية الأهميّة، فاحتلّ الرجل الصدارة في مجتمعات اصطبغت بالبطريركيّة التي لا تزال ترخي بظلالها على المدنيّة حتى وقتنا الحاضر.

في رحلة البحث في تاريخ الزواج، وقبل استعراض أشكاله واختلافات طقوسه عبر حضارات الشرق الأدنى القديم، يبرز العديد من الأسئلة المحوريّة؛ أوّلها عن شكل العلاقات الاجتماعيّة قبل ظهور مفهوم الزواج، وهل كانت هناك إباحيّة وفوضى علاقات؟ وفي حال كان الجواب بالإيجاب، فما السبب في انتقال الإنسان من المشاعيّة الجنسيّة (الإباحيّة) في الحالة البدائيّة، واستبدال الزواج المتعدّد ثمّ الأحادي بها؟ وهل كان هذا الانتقال هو العامل الأساسي في تشكّل العائلة؟

لم تخرج معظم دراسات الباحثين في تاريخ العائلة ونشأتها وشكلها عن طرحين أساسيين؛ الأوّل رأى وأقرَّ أنّ المجتمعات مرّت بمرحلة أموميّة سادت فيها علاقات جنسيّة مفتوحة، كان من الصعب خلالها معرفة النسب سوى إلى الأم، ما منحها السيادة، لكنّها في رأيهم لم تتعدَّ كونها مرحلة بدائيّة كان لا بدّ للحضارات

الإنسانيّة من تجاوزها إلى مرحلة تطوريّة أعلى يسود فيها الزواج الأحادي، ولاسيّما لجهة المرأة، ويحكم فيها الرجل، والثاني افترض أنّ شكل العائلة المكوّن من الأب والأم وأبنائهما كان منذ البدايات وكأنّما هو أمر طبيعي وتعزيز لإرادة إلهيّة لا مندوحة عنها. وكلا التصنيفين انتهى تقريباً إلى النتيجة نفسها، وهي أنّ النظام الأبوي هو الشكل الأوحد الذي معه تستمرّ الحضارة في رقيّها وتطوّرها.

كان باخوفن (johann jakob bachofen)[1] أوّل من طرح نظريّة المجتمع الأمومي، وأنّ أصل نظام العائلة كان أموميّاً، وذلك في كتابه الشهير (**حقّ الأم**)، وهو بمثابة تحقيق في الطابع الديني والقانوني للنظام الأمومي في العالم القديم، في العام (1861)[2].

نما اهتمام باخوفن بدور المرأة من خارج التقليد السائد منذ العصور الكلاسيكيَّة حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث كان الناس، طول هذه الفترة، مولعين برواية القصص عن مجتمعات الإناث المهيمنة، وعادة ما يرسمونها صراحةً اعتماداً على أساطير الأمازونيّات من العصور القديمة، لكنّ باخوفن، في نظريّته ودراسته، فعل شيئاً جديداً، فقد ادّعى أنّ الأمازونيّات لم يكنَّ شاذّاتٍ ولا سجيناتٍ في الخيال البشري المحموم، أو في عدد قليل من المواقع المعزولة في العالم، حيث أقامت النساء مجتمعاتهنَّ دون الرجال. ورأى باخوفن أنّ أساطير الأمازونيّات، جنباً إلى جنب مع الكثير من الأدلّة الأسطوريّة والأثريّة الأخرى، جاءت لتضيف الدليل على أنّ بدايات البشريّة في الواقع «حُكمت من قبل النساء. وفي وقت لاحق فقط قام الرجال بالاستيلاء على السلطة، التي سرعان ما اتّسمت بهم في أغلب التاريخ المسجّل للمجتمع الأوربي الغربي الذي جاء منه باخوفن ومعاصروه» (eller 2011: 39)[3].

دراسة باخوفن عَدَّها إنجلز[4] البداية الحقيقيّة لدراسة تاريخ العائلة، لتؤكّد سلطة المرأة وتسيّدها، فنظراً لكون العلاقات الجنسيّة كانت غير محدودة في البدء، لا إمكانيّة لتقديم الدليل المؤكّد على الأبوّة، ولهذا لم يكن من الممكن تقرير النسب إلّا بحسب خطّ الأم، ومن ثَمَّ تمتّعتِ النساء بوصفهنَّ أمّهاتٍ بمكانة رفيعة إلى حدّ التسيّد.

1- يوهان ياكوب باخوفن (johann_jakob_bachofen) (سويسرا 1815-1887): عالم أنثروبولوجيا سويسري وعالم اجتماع اشتُهر بنظريّته عن النظام الأمومي. انظر في الملحق رقم 2 في نهاية البحث.

https://www.britannica.com/biography/johann-jakob-bachofen. (6-3-2018), (22: 15).

2- das mutterrecht or mother right: an investigation of the religious and juridical character of matriarchy in the ancient world.

3- سينثيا إيلر (cynthia eller) (أمريكا 1958-...): متخصّصة في النساء والحركات الدينيّة الجديدة والأساليب والنظريّات في دراسة الدين. انظر في الملحق رقم 2 في نهاية البحث.

https://www.cgu.edu/people/cynthia-eller/. (3-12-2017), (16: 30).

4- فريدريش إنجلز (1820-1895) (friedrich engels): منظّر وعالم اجتماع وفيلسوف ألماني. (انظر: روني: 1992: 136-138).

كان إنجلز متأثراً بما جاء في كتاب باخوفن، ومعترفاً بالمجتمع الأمومي، لكنّه ربط ذلك تزامناً مع انفتاح العلاقات الجنسيّة، أو ما يُعرف اصطلاحاً بـــ(الإباحيّة).

ورأى إنجلز أنّ فكرة باخوفن تتمثّل في كون البدايات قد شهدت مرحلة مفتوحة للعلاقات الجنسيّة أطلق عليها باخوفن (hetaerism) الهيتريّة، وهو مصطلح عَدَّه إنجلز غير موفّق. وفي ضوء هذه العلاقات يكون من الصعب تحديد الانتساب إلى الأب، ومن ثَمَّ كان نسب الأبناء حكماً إلى الأم، وهذا ما منح المرأة الاحترام والتقدير وحيازة السيادة الكاملة (حكم النساء الجينكوقراطي gynecocracy). وهنا يشير إنجلز إلى أنّ باخوفن رأى أنّ الانتقال إلى الزواج الأحادي كان ينطوي على مخالفة وصيّة دينيّة، وهذا ما يعلّل التعويض القاضي بأن تضاجع المرأة رجلاً غير زوجها (engels 2004: 28).

قد تكون مأثرة باخوفن، التي تؤيّد ما يذهب إليه البحث، كامنةً في أنَّ الانتقال من العلاقات المفتوحة إلى الزواج الأحادي، ومن ثَمَّ من حقّ الأم إلى حقّ الأب، ومن النظام الأمومي إلى الأبوي، قد تمّ انعكاساً لتغيّرٍ في التصوّرات والمعتقدات الدينيّة، حيث حدثت تغييرات في بانثيون الآلهة، وظهرت آلهة جديدة تمثّل وتعكس مفاهيم مختلفة أزاحت تلك التقليديّة التي عبّرت عن الآلهة القديمة. ومن ثَمَّ ليس تطوّر الظروف الفعليّة لحياة الناس وحده الذي يؤدّي إلى جملة من النقلات النوعيّة التاريخيّة في وضع الرجل والمرأة، بقدر ما يفعله الانعكاس الديني لتلك الظروف في عقول أولئك الناس.

إنَّ باخوفن، ومن حذا حذوه من المنظّرين في موضوعة المرأة، رأَوا أنّ المجتمع الأمومي مرحلة تطوّريّة تمرّ فيها الحضارات وتتجاوزها، فالمرأة بالنسبة إليهم وعلى ميزان تأويلاتهم مثّلت الطبيعة، والرجل مثّل التطوّر والثقافة وإخضاع الطبيعة. بيْد أنّ هذا التأويل قد فقد معناه في ظلّ استحالة تطويع الطبيعة بالمطلق، وفي ظلّ اختلاف الظروف التي كان الرجل والمرأة قديماً يعيشان فيها وجهاً لوجه مع الطبيعة وأهوالها.

أشارت غيردا ليرنر (gerda lerner)[5]، في كتابها (**نشأة النظام الأبوي**)، إلى كون النظريّة التفسيريّة الأولى المستندة إلى مبادئ أموميّة، التي طوّرها باخوفن في كتابه ذي التأثير الكبير (حقّ الأم)[6]، كان لها

5- غيردا ليرنر (gerda lerner) (أمريكا 1920-2013): كانت أستاذة في جامعة وسكنسون - ماديسون، وأستاذة زائرة في جامعة ديوك في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وهي إحدى مؤسّسات ميدان تاريخ النساء، ورئيسة سابقة لمنظمة المؤرّخين الأمريكيين. انظر في الملحق رقم 2 نهاية البحث.

https://www.britannica.com/topic/the-creation-of-patriarchy. (6-3-2018), (22: 20).

6- Bachofen, myth religion and mother rights.

أثرها على إنجلز وشارلوت بيركينز غيلمان (charlotte perkins gilman)[7]. كان الإطار الأساسي لباخوفن تطويريّاً وداروينيّاً؛ فقد وصف مراحل مختلفة من نشوء المجتمع، متحرّكاً بثبات إلى الأعلى من البربريّة إلى النظام الأبوي الحديث. وعلى الرغم من تقديره العالي لدور النساء في الماضي المظلم، نظر باخوفن إلى صعود البطريركيّة في الحضارة الغربيّة على أنّه انتصار أعلى للفكر الديني والسياسي وللتنظيم، الذي قابله سلبيّاً مع التطوّر التاريخي في آسيا وأفريقيا (**ليرنر**: 2013: 65).

أمّا الإسكتلندي ماك لينان (mc lennan)[8]، والأمريكي مورغان (morgan)، فقد تبنّيا نظريّة القبيلة؛ إذ رأى ماك لينان أنَّها أوّل خليّة اجتماعيّة، وتتألف من مجموعة من الأفراد ارتبطوا في سبيل التعاون وتأمين الحماية بعضهم لبعض، وكانت العلاقات الجنسيّة فيما بينهم مفتوحة بلا ضوابط، ولذلك كان الأبناء يُنسَبون إلى أمّهاتهم، وربط نظام تعدّد الأزواج وشيوع الأموميّة بانتشار ظاهرة وأد البنات التي رأى أنَّ حدوثَها كان السبب في اشتراك أكثر من رجل في امرأة واحدة، أمّا الوأد، فقد عزاه إلى ضعفٍ عَدّه بيولوجيّاً للمرأة؛ حيث إنَّها لا تستطيع صدّ الخطر وتأمين الطعام، ما أدّى إلى نقص عدد الإناث، فظهرت الحاجة إلى تعدّد الأزواج، إلى أن ظهر الزواج الفردي الذي يكون فيه للمرأة زوج واحد تخضع لسلطته، وهذا كان متزامناً مع نشأة النظام الأبوي.

قد نتفق مع ماك لينان في طرحه حول الزواج الخارجي، والزواج الداخلي، لكنّنا لا نتّفق معه في أنّ السبب في نشأة المجتمع الأمومي هو وأد البنات، الذي أدّى إلى تعدّد الأزواج، فادعاؤه أنّ الرجل كان مسؤولاً عن تأمين الحماية والصيد والقوت قوّضه العديد من النظريّات.

يعود الفضل إلى ماك لينان في نحت مصطلحات الزواج الخارجي (exogamy) (الزواج خارج المجموعة، كما هو الحال في خطف العروس بين القبائل المتحاربة)، ومصطلح الزواج الداخلي (endogamy) (الزواج داخل مجموعة معيّنة)، (وأنَّ النزوع للزواج من خارج المجموعة أدّى إلى الزواج الأحادي، وتقرير القرابة من خلال الذكور وليس الإناث). وانتقد ماك لينان آراء العالم الأنثروبولوجي الأمريكي لويس هنري مورغان حول مصطلحات القرابة التي أشار إليها ماك لينان إلى درجة الاحترام

7- شارلوت بيركنز غيلمان (charlotte perkins gilman) (أمريكا 1860-1935): كان أحد أعظم الأعمال لها (المرأة والاقتصاد)، الذي نُشِرَ عام 1898. وإلى جانب تأليف الكتب، أسّست مجلة (the forerunner)، التي نشرت من 1909 إلى 1916. انظر في الملحق رقم 2 نهاية البحث. (2018-3-6)، (22: 22)

https://www.britannica.com/biography/charlotte-perkins-gilman

8- جون فيرغسون ماك لينان (john ferguson mclennan) (اسكتلندا 1827-1881): بدأ حياته المهنيّة في القانون، وصياغة مشاريع القوانين البرلمانيّة لاسكتلندا، بعد أن عمل على مقال في القانون لدائرة المعارف البريطانيّة قاده إلى تطوير الاهتمام بدراسة تطوّر العادات المرتبطة بالزواج في الثقافات البدائيّة.

https://www.britannica.com/biography/john-ferguson-mclennan

المتعلقة باعتبارات المحطّة والعمر بدلاً من العلاقات بين الأقارب. ونظر ماك لينان إلى الطواطم على أنّها ناجمة من عبادة في وقت سابق من الوثن والنباتات والحيوانات، وبطبيعة الحال، الآلهة الإنسان. جذبت آراؤه حول الطوطميّة اهتمام سيغموند فرويد وعلماء الاجتماع؛ مثل: إميل دوركايم، والسير جيمس جورج فريزر، وروبرتسون سميث، كما كتب ماك لينان نظريّة البطريركيّة (1885).

في أيلول/ سبتمبر (1872) حدث ما يشبه الزلزال في تاريخ الأديان، حين أعلن ج. سميث (george smith)[9] عن اكتشافه الذي يعادل في أهميّته اكتشاف أنّ الأرض لم تعد مركز الكون، وهو العثور على الأصل البابلي لسفر التكوين في بلاد الرافدين، فقد أنهى لتوّه ترجمة الألواح البابليّة التي تضمّ ملحمة جلجامش[10] المتشابهة، حتى في أدقّ التفاصيل، مع قصّة الطوفان وقصّة الخلق التوراتيّة، ما لا يدع مجالاً للشكّ في أنّ العبرانيين قد ترجموا بتصرّف، خلال السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد، الأسطورة البابليّة التي سُجِّلت على الطين بالخطّ المسماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. بهذا الاكتشاف تهاوت أسطورة أنّ الكتاب المقدّس هو أوّل نصٍّ مكتوب، وأنّه وحي سماوي (**بوتيرو**: 2005: 15). **من ألواح جلجامش التي فكّ رموزها جورج سميث عام 1872**[11]

نظراً لكون تاريخ تكوّن العائلة، حتى عهد قريب، كان متأثراً برواية أسفار العهد القديم، جرى الاعتقاد بأنّ النظام الأبوي كان أقدم شكل من أشكال العائلة، تلك الأسفار بقيت من أقدم الوثائق التاريخيّة، إلى أن تمّ فكّ شفرة الكتابة المسماريّة وقراءة مدوّناتها الطينيّة، وكلّ ما كتب على القطع الآثاريّة لحضارة وادي الرافدين من أشعار وأساطير تحدّثت عن خلق الكون والإنسان والآلهة، إضافة إلى فهم وقراءة الوثائق الماليّة، ونصوص التشريع من أمثال قوانين «أوركاجينا» في لجش (2378-2371 ق.م)، و«سرجون

9- جورج سميث (george smith) (بريطانيا 1840-1876): عالم الآثار البريطاني الذي كان على معرفة متقدّمة بالحقبة السومريّة في حضارة بلاد ما بين النهرين. انظر في الملحق رقم 2 نهاية البحث.

https://global.britannica.com/biography/george-smith-british-assyriologist. (11-12-2017), (15: 23).

10- ملحمة جلجامش(gish-bil-ga-mesh) : هي قصيدة ملحميّة تُعدُّ أقدمَ نوعٍ من أدب الملاحم البطولي في تاريخ جميع الحضارات، وإلى هذا، هي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى، ويصحّ أن نسمّيها أوديسة العراق القديم. يعود تاريخ تدوينها إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، وتاريخها إلى أبعد من هذا بكثير. وتحكي قصّة جلجامش، البطل والملك الأسطوري لمدينة أوروك، وصديقه نصف المتوحّش إنكيدو، حيث يبحث جلجامش عن سرّ الخلود بعد وفاة صديقه. وتشتمل أيضاً على قصّة الطوفان، وهي القصّة المشابهة جداً لقصّة نوح في «الكتاب المقدّس» (باقر: 2009: 10).

11- http://gilgameshepic.com/translation.html. (20-12-2017), (23: 00)

الأكدي» (2300 ق.م)، و«أور نمو» في مدينة أور (2100 ق.م)، بالإضافة إلى قوانين «لبت عشتار» ملك أيسن (1930 ق.م)، ومجموعة مدينة إشنونا التي سبقت في تاريخها حمورابي[12] بعشرات السنين[13].

إنّ خروج ترجمات الأساطير كان بمثابة اكتشاف ثوري في تاريخ الأنثروبولوجيا أظهر للعالم أنّ (العهد القديم) ليس أقدم كتاب، وأزاح الستار عن تلك الحقبة التاريخيّة التي احتفظت بغموضها وأسرارها إلى مشارف القرن التاسع عشر.

وعلى خطٍّ موازٍ لما ذهبنا إليه، كان إنجلز قد أشار إلى أنّ الدراسات، التي أعادت النظر في تاريخ نشوء العائلة وشكلها لم تجد طريقها إلى النور قبل بداية الستينيّات من القرن التاسع عشر، وأنّ علم التاريخ كان في هذا الميدان لا يزال بكلّيّته خاضعاً لتأثير أسفار موسى الخمسة (التوراة)، وأنّ شكل العائلة البطريركي، الموصوف هناك بتفصيل كبير أكثر من أيّ مكان آخر، لم يُقبل ضمنيّاً على أنّه أقدم شكل وحسب؛ بل رأى أنّه مطابق تماماً (باستثناء تعدّد الزوجات) لشكل العائلة البرجوازيّة المعاصرة، وعليه، بحسب هذا المعتقد، يبدو كأنّه لم يطرأ أيّ تطور تاريخي على العائلة (engels 2004: 29-28).

إنجلز، كما هو واضح، يشير إلى عمل باخوفن، وما قدّمه في نظريّته عن حقّ الأم، وعن المجتمع الأمومي، التي شكّلت أوّل دراسة من نوعها خارج الإطار الأبوي المرسوم والموسوم به التاريخ القديم بوصفه حقيقةً لا جدال فيها، وجاء فكّ رموز الكتابة المسماريّة ليمدّ العلماء والباحثين بمادّة غنيّة من الأساطير والمواد القانونيّة، حيث تغني البحث عن ماضي النساء، على الرغم من عدم الخروج من فخّ التحيّز للأبويّة، باعتبار أنّ النظام الأمومي مرحلة بدائيّة ستندحر أمام عجلة التقدّم من الطبيعة إلى الثقافة.

على النقيض من باخوفن ومدرسته، يرفض ويسترمارك (edward Westermarck)[14]، في **(موسوعة تاريخ الزواج)**، الاعتقاد بوجود مرحلة عامّة من الإباحيّة، ويؤيّد الاعتقاد بأنّ الزواج المكوّن من والدين وأولاد قد وُجِد عند الإنسان البدائي أيضاً، مناقضاً ما يعتقده العديد من علماء الاجتماع الذين

12- حمورابي (1792-1750 ق. م) أشهر ملوك سلالة بابل الأولى (1894-1595 ق.م)، وهو سادس ملوكها، اسم حمورابي مكوّن من مقطعين 'حمو' وهو اسم إله ساميّ غربي من الآلهة الشمسيّة، كما يدلّ على ذلك اسمه الذي يعني الحرارة، وكلمة 'رابي'، ومعناها عظيم أو كبير. دام حكمه نحو 43 عاماً، ويُعدّ من العهود المجيدة في تاريخ حضارة الرافدين، والتاريخ البشري العام، أصدر في الأعوام الأخيرة من عهده شريعته المشهورة (باقر، ج1: 2009: 472-473).

13- تناولت هذا الموضوع بإسهاب في رسالة الماجستير التي حملت عنوان «المرأة والألوهة المؤنثة انزياح المكانة والأهميّة، وتقصّي آثار الانقلاب الذكوري في مظاهر حضارات وادي الرافدين، وتمّت مناقشتها في عام 2014، وتمّ نشرها في كتاب حمل اسم «المرأة والألوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين»، منشورات مؤسّسة مؤمنون بلا حدود، (2015).

14- ويسترمارك (edward alexander westermarck) (فنلندا 1862-1939)، عالم الاجتماع الفنلندي، الفيلسوف، وعالم الأنثروبولوجيا الذي نفى وجهة نظر على نطاق واسع بأنّ البشر الأوائل كانوا يعيشون في حالة من الاختلاط، وبدلاً من ذلك افترض أنّ النموذج الأصلي من التعلق الجنسي البشري كان الزواج الأحادي. وأكد أنّ الزواج البدائي له جذور في احتياجات الأسرة النوويّة، وعدَّه الوحدة الأساسيّة والشاملة للمجتمع.

https://global.britannica.com/biography/edward-westermarck. (10-12-2017), (20: 30).

درسوا التاريخ البدائي للبشريّة، ومنهم باخوفن، كما أشرنا، وماك لينان (john ferguson mclennan)، ومورغان (lewis henry morgan)[15]، وغيرهم.

يشير ويسترمارك إلى أنّ الوقائع، التي يُستند إليها في تدعيم نظريّة الإباحيّة البدائيّة، جاءت من مصدرين: الأوّل هو ما جاء في كتب المستكشفين القدماء والمعاصرين لوصف شعوب يُقال عنها إنّها عاشت أو ما زالت تعيش حالة من الإباحيّة، والثاني جاء من عدد من التقاليد التي يُعتقد أنّها بقايا مرحلة سابقة من الحضارة لم يكن الزواج موجوداً فيها (**ويسترمارك**: 2001: 97-98).

وفي هذا السياق، يقوم ويسترمارك باستعراض أمثلة عديدة عن المصدرين تبيّن كيف أنّ هذه المصادر كانت تحوطها الشكوك ويحفّها التناقض، ولا يمكن أن تكون تأكيداً وجزماً بأنّ الإباحيّة واحدة من مخلّفات وضع بشري بدائي، أو حتى دليلاً على حالة اجتماعيّة مفرطة المجون، ولاسيّما أنّ الزواج الأحادي كان حاضراً في الوثائق نفسها التي قُدّمت براهين على إباحيّة بدائيّة، فحين نرصد مدى الشكوك المحيطة بالمعلومات التي يعطيها الناس عن الحياة الجنسيّة حتى لجيرانهم الأقربين يكون علينا الحذر من اعتماد الوثائق التي يقدّمها الكتّاب الكلاسيكيّون عند حديثهم عن شعوب بعيدة أو قريبة، ولا يعرفون عنها بطبيعة الحال سوى أشياء قليلة. (انظر: **ويسترمارك**: 2001: 102).

قد نتّفق مع ويسترمارك في كون «الإباحيّة» مفهوماً لاحقاً، ولا يمكن إسقاطه على التاريخ القديم، وقد تفيد دراسة البغاء المقدّس، ومفهوم الجنس المقدّس؛ لكي نقف عند ظاهرة تُعدُّ من صلب الطقوس المقدّمة في دين الإلهة المؤنثة، الذي أشار إليه باخوفن باعتباره تعويضاً عن حقّ الأم. وهنا يعتمد باخوفن، في توصيفه لتلك الطقوس، على هيرودوت وما رواه عن نظرته ورأيه في السبب الواقع وراء تلك الممارسة، وسنتعرّض لهذا في مطلب قادم عن البغاء المقدّس.

15- أدّت أبحاث مورغان (lewis henry morgan) (أمريكا 1818-1881) وكتاباته إلى نشره عام 1877، أفضلَ وأشهر أعماله (المجتمع القديم). وحاول في هذا الكتاب احتضان الثقافة في مجملها، ولكنّ تركيزه انصبّ على تطوّر المجتمع. وقسّمه إلى أربعة أجزاء «نمو الذكاء من خلال الاختراعات والاكتشافات»، «نمو فكرة الحكومة»، «نمو فكرة العائلة»، «نمو فكرة الملكيّة»، واستخدم اثنتين من نظريّات التطوّر: المثاليّة والماديّة.

https://www.britannica.com/biography/lewis-henry-morgan. (6-3-2018), (22: 28).

جادل مورغان، في كتابه (المجتمع القديم) (ancient society)، بأنَّ الأموميّة والملكيّة المشتركة سبقتا الأبويّة والملكيّة الخاصّة على التوالي. ويُحسب لمورغان في الأنثروبولوجيا أمران أساسيّان؛ أوّلهما: عمله الميداني الذي كان غير شائع بين علماء الأنثروبولوجيا في وقت سابق، وثانيهما مساهماته الكبيرة في دراسات القرابة، ولا سيّما التصنيف في نظام القرابة ومصطلح الإخوة والأخوات. كان هذا في غاية الأهميّة لفهم مجتمع ما قبل التاريخ. يُعدُّ كتاب (المجتمع القديم) علامة مميّزة في الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة، حيث حدّد التطوّر الاجتماعي وتنظيم القرابة بتفاصيل كبيرة. انظر كتاب مورغان:

Lewis henry Morgan, ancient society, Tucson: the University of Arizona press, 1995.

لقد شدّد ويسترمارك على أنّ هناك مجموعة من الوثائق تحمل أخطاء تعود إلى منظّرين خلطوا بين الإباحيّة الجنسيّة وبين ظواهر مثل المجون الجنسي، أو كثرة حوادث الانفصال أو تعدّد الأزواج، أو تعدّد المتزاوجين، أو أيّ أمر مماثل، أو غياب احتفالات الزواج، أو عدم وجود كلمة «زواج»، أو وجود مؤسّسة تشبه ما هو معروف لدينا، والبعض الآخر من المنظّرين استندوا إلى وثائق غامضة يمكن تأويلها بمعنى أو بآخر، أو إلى معلومات ثبت أنّها زائفة. وهكذا لا نجد بينها أيّ مستند يمكن أن يُعدّ حاسماً أو قادراً، على الأقلّ، على أن يظهر أنّ الإباحيّة ممكنة، ولو كانت لدينا أسباب للاعتقاد بأنّ بعض الشعوب قد عاشت فعليّاً حالة كهذه، يكون من الخطأ الشديد استنتاج أنّ تلك الحالات، التي تكون شاذة بالفعل، قد شكّلت مرحلة من التطوّر البشري يُفترض أن تكون البشريّة بكاملها قد مرّت بها. باختصار، يؤكد أنّ العلاقات الجنسيّة لدى الشعوب الدنيا لم تكن تتميّز مطلقاً بحريّة تسمح لنا باعتبارها إباحيّة (**ويسترمارك**: 2001: 114).

وهنا نصل إلى قضيّة الزواج، التي هي موضوعة البحث المركزي، فبغضّ النظر عن وجود إباحيّة أو مشاعيّة أو لنقل تعدديّة في العلاقات في المجتمعات البدائيّة، يشكّل السؤال الذي طرحه ويل ديورانت[16] سؤالاً جوهريّاً، وهو: ما الذي حدا بالمجتمع القديم لاستبدال الزواج الإفرادي بتلك المشاعيّة الجنسيّة (أو لنقل التعدديّة)؟

إنجلز، الذي ذهب مع ما أجازه الباحثون قديماً، وهو إمكان وجود مرحلة من العلاقات الجنسيّة غير المنظّمة في الأزمنة البدائيّة، لم يتفق مع ويسترمارك حول أحاديّة الزواج عند القرود الشبيهة بالإنسان، التي يشير إليها في كتابه (**أصل العائلة**) بوصفها «أبعد من أن تشكّل برهاناً». كما أنَّه، على الرغم من اتفاقه مع نظريّة وآراء باخوفن، نجده يعلّق في هامش الكتاب على نظرة باخوفن لنشوء الزواج بجملة هي إنّ باخوفن «أضفى على اكتشافاته الفائقة الأهميّة هالة من الصوفيّة جعلتها غير معقولة؛ لأنّه يتصوّر أنّ مصدر العلاقات التي نشأت بين الرجل والمرأة خلال التاريخ إنّما كانت على الدوام تصوّرات الناس الدينيّة، وليس ظروف حياتهم الفعليّة»، واتّفق مع ما برهن عليه مورغان من وجود الزواج الجماعي الذي كان مأثرة مورغان على حدّ تعبير إنجلز، التي فسّرت كيف يتمّ الزواج الخارجي ولماذا، فقد بيّن، من خلال نظريّة القبيلة، أنّ الزواج الداخلي كان ممنوعاً ضمن العشيرة الواحدة، إلّا أنَّه كان مسموحاً ضمن القبيلة التي تضمّ أكثر من عشيرة، فلا تعارض بينهما (أي بين الزواج الداخلي والخارجي)، كما ادّعى ماك لينان، لقد بيّن مورغان أنّ المجتمعات تطوّرت من العلاقات المفتوحة التي ناسبت المرحلة الوحشيّة، ثمّ انتقلت

16- ويليام جيمس ديورانت (william james durant) (أمريكا 1885-1981): عُرف بمؤلفه الشهير (قصّة الحضارة - the story of (civ lization) المكوّن من أحد عشر مجلداً كتبها بالتعاون مع زوجته أرييل ديورانت (k ariel durant)، ونُشِرَت بين عامي (1935 و1975). وقد لوحظ أيضاً قبل ذلك في كتابه (قصّة الفلسفة) (the story of philosophy)، في عام (1924)، الذي وُصِف بأنّه «العمل الرائد الذي ساعد على نشر وترويج الفلسفة».

https://www.britannica.com/biography/will-durant-and-ariel-durant. (6-3-2018), (22: 30).

إلى الزواج الجماعي الذي ناسب المرحلة البربريّة لينتقل بعدها إلى الزواج الثنائي فالأحادي (انظر **إنجلز**: 2014: 33-49).

كما أشرنا، نحن نتّفق مع باخوفن في ربطه العلاقات بالتصوّرات الدينيّة، ومن ثَمَّ ستتغيّر بحسب تغيّر تلك التصوّرات، وفي الوقت عينه نتفق مع إنجلز في أنّها تتبع ظروف الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة أيضاً وتعكسها. وبالمجمل، إنّ الاعتراف بالمجتمع الأمومي منشأً وبدايةً لنشوء العائلة اعتُبِر أنّه ترافق مع انفتاح في العلاقات الجنسيّة أو فوضى في العلاقات الجنسيّة، ومن ثمّ ارتبط ضمناً ظهور الزواج أكثر فأكثر بظهور المجتمع البطريركي المنظّم.

لا شكّ في أنّ المقاربين لفكرة أسبقيّة المجتمع الأمومي على الأبوي، والموافقين عليها، وكلّ النظريّات التالية التي نفت هذه الأسبقيّة، كليهما ترعرعا في كنف النظام الأبوي، وهذا ما أشارت إليه بطريقة ما غيردا ليرنر في حوار حول كتابها (**نشأة النظام الأبوي**)، فقالت: «إنَّها حين عملت ما يقارب ثلاثين سنة في حقل الأبحاث التاريخيّة، كان عليها أن تكتشف: هل النظام البطريركي أمر إلهي طبيعي، أو هو اختراع بشري متأتٍّ من حقبات تاريخيّة محدّدة؟ وقد رجّحت الخيار الثاني مؤكّدة أنّ النظام الأبوي أُنشِئ بوساطة البشر، وخُلق بوساطة الرجال والنساء معاً، في نقطة معيّنة من التطوّر التاريخي للعرق البشري. من المحتمل أنَّه كان ضروريّاً لحلّ المشاكل في ذلك الوقت؛ أي عصر الكالكوليت (العصر النحاسي)[17]، لكنّه لم يعد ممكناً كما كان. والسبب الذي جعل من الصعب أن نفهمه ونكافحه أنّه كان ممأسساً قبل أن تكون الحضارة الغربيّة كما نعرفها حقاً قد وجدت. وكانت عمليّة إنشاء النظام الأبوي البطريركي قد اكتملت بشكل جيّد، قبل الفلسفة اليونانيّة والعلم اليوناني، وقبل إنجاز الكتاب المقدّس بوقت طويل، وهي التي تشكّل الدعائم التي ارتكزت عليها منظومة الأفكار للحضارة الغربيّة. كلّ هذه الأنظمة سلّمت بتبعيّة ثانويّة للنساء؛ لأنّه في الوقت الذي نشأت فيه تلك الأنظمة كانت تلك التبعيّة قد اكتملت[18].

وإضافة إلى رافضي الأصل الأمومي للبشريّة، أو الذين يقرّون بوجوده على أنّه مرحلة تطوريّة ستنتهي لصالح نظام أبوي هو الأقدر على قيادة التاريخ، باعتبار أنّه أعلى أشكال التطوّر الطبيعي للحضارات، هناك من رفض حضور المرأة في فجر التاريخ حضوراً فاعلاً في صنع الحضارة وإرساء معالمها.

17- العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) (5000-3000) (chalcolithic ق.م): هو العصر الذي اكتشف فيه الإنسان المعادن، وبدأ تطويعها واستخدامها في حياته اليوميّة، وكذلك هو العصر الذي ارتبط بنشوء المدن وظهور المعابد (الماجدي: 1997: 28-26).

18 https://www.youtube.com/channel/ucsrtj5pukzm7le0ahxo9vsg

19- ترجمة عبير مطلق على موقع ملتقى تواصل 3-10- 2017 (11: 30).

لكنّ المتتبع لتاريخ حضارات العصر الحجري الحديث[19]، وخاصّة في بلاد الرافدين، سيتمكّن من التعرّف إلى مجتمعاتٍ كانت المرأة فيها صاحبة المكانة العالية، وكانت الأسرة تحت سلطتها في مجتمع أمومي تماهى مع دين عُبِدت فيه الإلهة الأنثى، وترأسّت مؤسّسته الدينيّة كاهنة عظمى كانت خليفة الإلهة على الأرض. والراصد لصيرورة تلك المكانة في الحقبة التي تليها، والتحوّل المتزامن والمتوازي معها في مكانة الإلهة في الأساطير والمفاهيم الدينيّة والطقوس، يخلص إلى أنّ العصر الحجري النحاسي قد حمل انقلاباً ذكوريّاً على المرأة قاد إلى السيطرة عليها وإزاحتها من المركز إلى الهامش، ما ترتّب عليه نتائج مهمّة رسمت مستقبل العائلة وشكلها في أغلب حضارات العالم، ويبدو أنّ هذه الهيمنة كانت السبب في عدم فسح المجال لإماطة اللثام عن الدور الأساسي الذي أدّته المرأة في تشكيل العائلة الأولى في التاريخ وتمحورها حولها.

يشير طه باقر[20] إلى أنّ مساهمة المرأة في تدجين الحيوانات، واكتشافها الزراعة، «أرسى أهمّ عامل لاستقرار الإنسان وبناء الحضارة، وكان لها سيطرة حقيقيّة على تلك العصور التي دُعِيت عصر سيطرة المرأة (matriarchy)، فكانت أعمال المرأة بالإضافة إلى تربية الأطفال تتعلّق بطحن الحبوب وتهيئة الخبز والطعام، وكذلك الغزل لصنع الملابس وتهيئة جلود الحيوانات، والعناية بتلك الحيوانات المدجّنة في حظائرها، أمّا أبرز أعمال الرجل وواجباته، فكانت على الأرجح تتعلّق بصنع الأدوات الحجريّة والأسلحة البسيطة وحماية قطعة الأرض الصغيرة المزروعة وصيد الحيوانات. ومع اكتشاف المعادن واستخدامها في تطوير أدوات الإنتاج جرى تطوّر على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، ونشأت فكرة الملكيّة الفرديّة؛ أي ملكيّة الحقل وأدوات الإنتاج والحيوانات المدجّنة» (**باقر، ج1**: 2009: 225).

إنّ الكثير من الكشوفات الآثاريّة والأبحاث العلميّة أثبت أنّ التجمّع الإنساني الأوّل لم يتأسّس بقيادة الرجل المحارب الصيّاد؛ بل تبلور تلقائيّاً حول الأم بكتلتها الكاملة من العاطفة، وعلاقة وارتباط الأبناء حولها في أوّل وحدة إنسانيّة متكاتفة هي العائلة الأموميّة، التي تُعدّ خليّة المجتمع الأمومي الأكبر. لقد تسلّمت المرأة قيادة المجتمع ليس لتفوّقها الجسدي؛ بل لخصائصها الإنسانيّة وقواها الروحيّة وإيقاع جسدها المتناغم مع الطبيعة والعاكس لصورتها، لقد كانت محور العمل على أنواعه منذ البدايات، والمنتج الأوّل في الجماعة بدءاً من إنتاج النوع ونموّه، إلى إنتاج الصناعات التي بدأت معها كصناعات حرفيّة بمهارة يديها، وكانت من أوقدت شعلة النار، وحافظت عليها، واكتشفت أسرارها وفوائدها. وهي التي أسّست

19- العصر الحجري الحديث (النيوليت) (8000-5000) (neolithic ق.م): هو العصر الذي بدأ الإنسان فيه اكتشاف الزراعة والتدجين الواسع للحيوانات، وظهور القرى الزراعيّة المنظّمة، وتطوّر صناعة الخزف (الفخار)، وظهور الآلات الحجريّة المصقولة بدلاً من المشظاة. (الماجدي: 1997: 26-28).

20- طه باقر (العراق 1912-1984): عالم آثار عراقي ومؤلف ولغوي ومؤرّخ. انظر في الملحق رقم 2 نهاية البحث: (باقر، ج1: 2009: 11).

العدالة والمساواة بحكم نفورها السيكولوجي من العنف، وحمت، من ثَمَّ، مجتمعاتها منه ليصبغ فيما بعد عهد النظام الأبوي ولا يزال.

المطلب الثاني: العلاقة ما بين الزواج والدّين:

حتى نستطيع فهم علاقة الزواج بالدين، لا بدّ من التوقف عند نشأة الدين، فالزواج يبدو كأنّه تلازمَ مع الدين، وأخذ قدسيّته من قدسيّة الحضور الإلهي فيه، سواء عن طريق الطقوس، أم لاحقاً عن طريق التشريع، مع فارق كبير وجوهري بين الأمرين؛ ففي الحضور الطقوسي كان الزواج، كما عَدَّه الإنسان البدائي، تقليداً ومحاكاة للطبيعة، ومحاولة للتأثير فيها، فكان هو صاحب الهيمنة عليها، وكأنّ ممارسته على الأرض تُغيّر في مزاج الطبيعة والآلهة، وتدعوها وتستحثها لفعل الخصب والحياة.

الزواج هنا لا يعدو كونه الحدث الجنسي، وليس كما استقرّ مفهومه اليوم مرادفاً لتأسيس عائلة ضمن توثيق وارتباط قانوني، فحين نتحدّث عن الزواج ورابطه الديني التشريعي، فإنّنا نتحدّث عن أمر آخر تماماً؛ حيث يصبح التدخّل معكوساً من الآلهة نحو الأرض ونحو الإنسان، حيث تلزمه السماء باتباع أوامرها ومنهجها الوحيد في الطريقة التي يجب أن يكون عليها الزواج، وأن يلتزم بها ليكون مُعترفاً به اجتماعيّاً، وهذا يؤكّد ما ذهبنا إليه في طرحنا بأنّ الزواج القانوني هو وليد المجتمع الأبوي وابنه البار، في حين أنّ الزواج المشاعري الطقوسي هو ممثل المجتمع الأمومي بلا منازع، وخاصّة حين يكون هذا التدخّل يصبّ في مصلحة البطرك، الذي يمثل رأس الهرميّة.

حتى تتمّ البرهنة على مثل ذلك الاعتقاد، لا بدّ من التوقف عند حقيقة المفاهيم الدينيّة الأولى، وكيفيّة بنائها حتى وصلنا إلى مفهوم دين، ففي هذه الرحلة قطعت الحضارات شوطاً من التواصل والتفاعل مع العالم الماورائي ابتداءً من دفن الموتى وتوجيه الجثث ووضع قطع عظام حيوانيّة حولها، إلى الكهوف التي عكست برسوماتها الرؤى والتخيّلات عن العالم القدسي، فكانت بحق معابد الإنسان القديم، الذي أحسّ -لا شكّ- بعدم تجانس المكان (كما هو التعبير الذي أطلقه مرسيا إلياد Mircea Eeliade[21] على الكهوف)، ولمس الفرق بين المكان العادي والمكان المقدّس، مكان تَعبُّده وتواصله مع العالم الآخر الذي حاول البحث عنه، وحاول تجسيده. قبل الكتابة نطقت الرسومات بما يبحث عنه الإنسان، وما يريد أن يقوله، وحين تحوّل الرسم إلى كتابة بدأ تدوين الأفكار وتدوين المعتقدات بوصفها قصصاً أسطوريّة عَبَرَ فيها الإنسان إلى ذاك المقدّس، وعبّر عنه بسيناريوهات أسطوريّة روت كيف نشأ الكون وكيف خُلق الإنسان، وكيف بدأ التكليف

21- مرسيا إلياد (Mircea Eliade) (رومانيا 1907-1986م): أحد أكبر المؤسّسين المعاصرين لعلم وتاريخ الأديان. اعتمد المنهج الفينومينولوجي، ودافع عن (المقدّس) وتجلياته، باعتباره عنصراً من عناصر التكوين البشري والطبيعي؛ أي إنّ المقدس كامن فينا، وكامن في الطبيعة (الماجدي: 2016: 131).

والأمر وافعل ولا تفعل على مستوى الآلهة، لتنسحب لاحقاً فتكون توصيات الآلهة للملوك، انتهاءً بالوحي الهابط على الأنبياء بنصوص مقدّسة وكأنَّها معاهدات ما بين العالَمين.

يصف الفيلسوف الألماني ماكس مولر (Friedrich max Muller)[22] الدين بأنّه: «كدح من أجل تصوّر ما لا يمكن تصوّره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنّه توق إلى اللّانهائي». أمّا لاهوتي الأديان شلايرماخر (F. Schleirmacher)[23]، فيقول: «إنّ الدين هو شعور باللّانهائي واختبار له، وإنّ الخيال الفردي هو الذي يسير بفكرة الله إمّا نحو المفارقة والتوحيد، وإمّا نحو نوع غير مشخّص للألوهة يتّسم بوحدة الوجود». وهربرت سبنسر (Herbert spencer)[24] يشير إلى أنّ حضور العالم الماورائي كان حضوراً غامضاً وعصيّاً على الفهم (السواح: 2002: 23). بينما عبّر رودولف أوتو (Rudwolf Otto)[25]، في كتابه (**المقدّس**)، عن معنى الدين بأنّه الوعي بالقدسي في تجربة انفعاليّة غير عقليّة، وتنضوي هذه التجربة إلى مجابهة قوى لا تنتمي إلى هذا العالم تعطي إحساساً مزدوجاً بالخوف والانجذاب معاً (**الماجدي**: 2016: 29).

شكّلت حضارات وادي الرافدين حقلاً خصباً احتضن أولى الديانات وأقدمها، فبذور الدين الأولى كانت حاضرة في سومر، في المعتقد والأسطورة والطقوس، بوصفها بُنى أساسيّة للدين، واكتملت لاحقاً بالبنى الثانويّة، من الأخلاق والتشريع، كما شرحها فراس السواح، وقد فصّل فيها خزعل الماجدي وأضاف إليها في كتابه (**علم الأديان**)، لتصبح كما في الجدول الآتي:

المكوّنات الأساسيّة

المكوّن	**تعريفه الموجز**
المعتقد	يمثل الجانب الفكري ويشتمل على الأفكار الدينيّة

22- ماكس مولر (Friedrich max Muller) (1900 -1823م): ألماني الولادة، بريطاني الجنسيّة والثقافة، وهو المستشرق والباحث الأكبر في علم الهنديّات، وأوّل من شغل منصب رئيس كرسي خاص لـــ (علم الأديان المقارن) استحدثته جامعة أوكسفورد (الماجدي: 2016: 118-119).

Max, Muller, introduction to the science of religion, p. 18 (queted in e. Durkheim, op. Cit, p.39).

23- فريدريش شلايرماخر (F. Schleirmacher) (ألمانيا 1788-1834): رجل دين ألماني بروتستاني، يُعدّ الأب الأوّل للهرمينوطيقا بوصفها نظريّة فلسفيّة وليس تفسيراً دينياً (الماجدي: 2016: 293). انظر:

b.a.grrish, f.schleirmacher, in: encyclopedia of religion, v.13, p.112.

24- هربرت سبنسر (Herbert Spencer) (بريطانيا 1820-1903): فيلسوف وعالم اجتماع ونفس إنجليزي، وواحد من مؤسّسي المذهب الوضعي، من موقع مؤمنون بلا حدود:

http://www.mominoun.com/articles/ تاريخ النشر 10 أيلول/ سبتمبر 2013.

25- رودولف أوتو (Rudwolf Otto) (ألمانيا 1869-1937م): عالم لاهوت ألماني لوثري، وباحث في علم الأديان المقارن. كان كتابه (المقدّس) الأكثر شهرة (الماجدي: 2016: 123).

الأسطورة	حكاية إله، حكاية مقدّسة
الطقس	الجانب العملي من الدين، الشعيرة
الأخرويّات	كلّ ما يتعلق بالموت وما بعد الموت

الجدول (1) (**الماجدي**: 2016: 32)

المكوّنات الثانويّة

المكوّن	**تعريفه الموجز**
الأخلاق والشرائع	العرف العام والمكتوب
السيرة المقدّسة	قصص الأنبياء والأولياء
الجماعة	الجماعة والمذاهب والطوائف
الباطنيّة	الباطنيّة والتصوّف والأسرار

الجدول (2) (**الماجدي**: 2016: 32)

لقد استشعر الإنسان القديم وجود عالمين هما: العالم القدسي والعالم الدنيوي، ومن خلال ذلك شهدت العصور السحيقة في التاريخ العديد من التمثّلات الدينيّة التي كانت بمثابة وسائل تعبير عن طبيعة الأشياء التي ساد الاعتقاد بأنّها مقدّسة، وعن علاقتها بعضها ببعض وعلاقتها بالأشياء الدنيويّة.

عكست طريقة الدفن، وتوجيه الجثث التي ظهرت في أواسط الباليوليت، تطوّراً واضحاً على المستوى الديني والروحي، ليتجلّى بصورة واضحة في رسومات الجداريّات، حيث تحوّلت الكهوف إلى أوّل معابد التواصل مع عالم اللّاهوت، والدمى الفينوسيّة[26] (التي مثّل تناثر وجودها على حدود **فينوس ويلندورف**: وُجِدت في ويلندورف - النمسا عام (1908م)، وهي تمثال من الحجر الجيري. المرجّح أنَّها منحوتة قبل (22.000-24.000) سنة مضت، ما يجعلها واحدة من أقدم القطع الفنيّة في العالم. ويُعدُّ هذا التمثال،

26- ما يُسمّى تماثيل الفينوسات يعود تاريخها إلى ما بين 40.000 قبل الميلاد و10.000 قبل الميلاد تقريباً. وعادة ما تكون صغيرة جداً مع أحجام تتراوح من 2.5 سم إلى 10.2 سم، على الرغم من بعض الأمثلة الكبيرة مثل 24 سم. وتُمثّل نساءً عاريات في تجسيمٍ لبعض من تفاصيلهنّ، مثل الثديين والوركين والمعدة ومناطق العانة، بشكل مبالغ فيه، في حين أنَّ هناك خصائص أخرى غائبة كملامح الوجه، أو الأقدام واليدين. وغالباً ما تكون مدببة في الأعلى والأسفل. وأغلبها، كما أشرنا، يفتقر إلى اليدين والقدمين. وعلى الرغم من أنَّ مبدعي هذه المنحوتات كانوا مفصولين على مدى 30.000 سنة ومئات الكيلومترات، تشاركوا في رسم الملامح نفسها.

https://www.ancient.eu/venus_figurine المقال لجيسيكا لويس، وقد نُشِرَ في 10 تموز/ يوليو 2017. وجميع الصور تمّ اعتمادها من المقال نفسه.

بشخصيّته الأنثويّة المجهولة المعالم ومظاهره الأنثويّة البارزة، النموذجَ لهذا النوع من فنّ ما قبل التاريخ، ومن الأمثلة النادرة التي استطاعت البقاء على قيد الحياة. هذا التمثال، بارتفاع (11.1) سم، يمكن حمله بسهولة في كفّ اليد، ما أتاح سهولة نقله من قبل البدو الرحّل من العصر الجليدي في أوربا، ويُعدّ مؤشراً ممكناً على أنّه استُخدِم في نوع من طقوس الخصوبة. اليوم، يمكن رؤية فينوس ويلندورف في متحف naturhistorisches museum في فيينا https://www.ancient.eu/image/6865

الباليوليت الأعلى[27] مؤشراً على عبادة إلهة أنثى عظمى مثلت للإنسان صورة للعالم القدسي، وشكّلت الأرضيّة الحقيقيّة لجملة مفاهيمه عن خلق الكون والآلهة والإنسان، كما شكّلت فيه المرأة سرّاً ارتبط بأسرار الخلق وحمل هالة من القداسة والتقدير).

يُعدّ تمثال **فينوس لوسل**، الذي تمّ نحته ما بين (20.000 و18.000) سنة مضت، مثالاً نادراً على النحت الغائر من عصور ما قبل التاريخ. ويعتقد كثير من العلماء أنّ هذه التماثيل النسائيّة استُخدِمت في طقوس الخصوبة أو تمثيلات لآلهة الخصوبة. في حالة فينوس لوسل، يعتقدون أنّ الثلاثة عشر خطّاً المنحوتة في القرن المقلوب الذي تحمله في يدها تتماثل مع دورة القمر والطمث. يدها الأخرى تقع على بطنها، على رحمها، وكانت صورتها ملوّنة مرّة واحدة مع مغرة حمراء، ما يشير إلى رمزيّة الخصوبة. فينوس لوسل هي الآن جزء من مجموعة من متحف بوردو في فرنسا: https://www.ancient.eu/image/6866

لاحقاً، في العصر الحجري الوسيط (الميزوليت)[28]، ترافقت ممارسة السحر مع الدمى الفينوسيّة ودمى الحيوانات، ليشهد العصر الحجري الحديث (النيوليت) ديناً تسيّدت فيه الإلهة الأنثى (mother-goddess) (الإلهة الأم) في مجتمع أمومي تسيّدت فيه المرأة بامتياز. على الرغم من توافر الكنوز الآثاريّة من الحضارات القديمة، لم يشكّل هذا، لدى بعض الباحثين، أداة جزم بانتشار ظاهرة عبادة الإلهة، إلّا حين توافرت الأدلة التاريخيّة المستوحاة. **فينوس من هول فيلس**

27- العصر الحجري القديم (الباليوليت) (500.000-12.000) (paleolithic ق.م): هو العصر الذي تضمّن كلّ العصور الجليديّة الأربعة والفترات غير الجليديّة الأربع، وبدأ قبل نحو نصف مليون سنة، وظهرت فيه ثلاثة أنواع من الإنسان هي (المنتصب، النياندرتال، العاقل)، ويقسمه العلماء إلى ثلاثة عصور (أسفل، أوسط، أعلى)، وقد سادت فيه صناعة الأدوات الحجريّة (الفؤوس، والشظايا، والنصال)، وتطوّر الإنسان ببطء شديد خلال هذه العصور بسبب هيمنة الجليد والمطر على حياته، ما جعله مختبئاً في الكهوف أغلب وقته. وكذلك بسبب محدوديّة تفكيره وحجم دماغه الذي كان أقلّ ممّا هو عليه الآن (الماجدي: 1997: 26-28).

28- العصر الحجري المتوسط (الميزوليت) (12.000-8.000) (mesolithic ق.م): هو العصر الذي بدأ بعد أن ذاب جليد فرم في أوربا، وبدأت الفترة غير الجليديّة الرابعة. ويُسمّى هذا العصر أيضاً عصر الأدوات الدقيقة (المايكروليث) (microlithic)، التي سادت هذا العصر. ويمثّل هذا العصر فترة انتقاليّة بين العصور الحجريّة القديمة والحديثة، ويتميّز ببدء تدجين الحيوان. (الماجدي: 1997: 26-28).

فينوس منحوتة من عاج الماموث في العصر الحجري القديم، وقد اكتُشفت بالقرب من شيلكلينغن، ألمانيا. وقد تمّ تأريخها ما بين (35.000-40.000 ق.م). والصورة من الموقع السابق: **https://www.ancient.eu/image/6346**

من مادة الأساطير والطقوس، التي بيّنت أنّ هناك عبادة إلهة كونيّة هيمنت على كلّ النصوص.

من خلال دراسته لتلك الأساطير، أشار السواح إلى: «كون الديانة النيوليتيّة كانت ديانة زراعيّة في اعتقادها وطقسها، كانت الأسطورة الأولى أسطورة زراعيّة تتركّز حول إلهة واحدة هي سيّدة الطبيعة، في شكلها الوحشي وشكلها المدجّن الجديد، التي تشارك يد الزارع في قولبته وتأهيله. ومع نضج الثقافة النيوليتيّة، واكتمال الشكل الاقتصادي الجديد، وتزايد الدور الاجتماعي للرجل، بعد أن كان المجتمع أموميّاً في جوهره، أصبحنا نجد إلى جانب الإلهة الأم ابنها الذي نشأ عنها والذي دعته عصور الكتابة بتموز أو أدونيس». (**السواح**: 2002: 25).

كان لظهور التماثيل الأنثويّة النيوليتيّة، في عدّة وضعيّاتٍ ممثلة للإلهة الأنثى، أن يعكس ملامح دينيّة في عبادة الخصب واسعة الانتشار، ودلّ، من ثَمَّ، على أنّ المرأة، وارتباطها بالخصب والولادة، كانت المثال الأقرب شبهاً للطبيعة؛ فهي تشبه دورة الخصب والإثمار والربيع وعودة الحياة، وخاصّة مع عدم وضوح الدور الذي يؤدّيه الرجل في عمليّة الإنجاب، نظراً للتباعد ما بين فترة التزاوج والولادة، وكلّ تلك التطوّرات التي تطرأ عليها ولا تطرأ على الرجل، كلّ ذلك جعل من المؤكّد أنّها الإلهة المسؤولة في مخيال الإنسان آنذاك عن الخصب في الكون على مستوى الأرض وعلى مستوى السماء.

وقد لوحظ في تماثيل الفينوسات الأولى عدم الاكتراث بملامح الوجه بقدر الاهتمام بوضعيّات الحمل والولادة والأعضاء الضخمة رمزاً للخصوبة؛ لأنّ الاهتمام كان بذلك التشابه الكبير ما بين دورة الطبيعة من الخصب والنماء والجفاف والموت وبين الحمل والولادة، ما جعل التركيز على إبرازها وتعظيمها، كما يحصل في كلّ المجتمعات حتى اليوم في استحضار روح الإله بما يشبهه على الأرض ويقدّسه ويرفع مكانته، ما يعيد تأكيد تلك الهالة من القدسيّة التي كانت للمرأة ومكانتها البارزة.

وجاءت طقوس ذلك الدين لتتواءم مع الاعتقاد بالألوهة الأنثويّة بهيئة الأم العظمى، وممارسة عبادتها، فالطقس هنا يحاكي الحدث على صعيد المعتقد ويجسّده. وقد أشار السير جيمس فريزر[29](james frazer)

29- جيمس فريزر (james george frazer): (اسكتلندا 1854-1941م): عالم اسكتلندي متخصّص في الأنثروبولوجيا، وهو الذي أتحف العالم بموسوعته الأنثروبولوجيّة الكبرى (الغصن الذهبي)، وبمؤلفاته عن (تطوّر أديان العالم)، و(الطوطميّة)، و(الفولكلور في العهد القديم). (الماجدي: 2016: 163).

إلى أنّ «هذه الطقوس كانت تجري اعتماداً على مبدأ التشابه، وهو أنّ الشبيه ينتج شبيهه أو المعلول ينتج علته. فإنّ الاعتقاد يكون بأنّ تحقيق الأهداف والنتائج يكون بمحاكاتها أو تقليدها» (**فريزر**: 1971: 104). لذا حاول إنسان هذا العصر محاكاة تلك الأساطير وتجسيدها وتشبيهها من خلال مجموعة من الطقوس، حيث يكون الطقس الأسطوري الذي يعتمد الإيماءة لبعث الحياة في الطبيعة استمراراً للخصب والتكاثر والنماء، وكانت المصارعة، وكان الاستسقاء (الرقص الديني)، وكان طقس الزواج المقدّس، وكلها طقوس في إطار غاية وهدف هو تعظيم الإلهة الأم، وطلب الخصب والرخاء والتكاثر.

إنّ ممارسة الطقس ركن أساسي ديني يجتمع مع الأساطير والمعتقد، فيكون ديناً متكاملاً، وفي ظلّه تنشأ قوانين وأخلاق سرعان ما تُربط بالإله لتصبح تشريعاتٍ تحمل صفة القدسي، وتأخذ سلطته، وسلطة الخوف منه ليسري فعلها وتأثيرها على الاجتماع وقوانينه.

ويمكن أن نتوقّف عند مفاهيم الطقوس الأساسيّة لنفهم غاياتها. «أمّا المصارعة، فكانت تعبّر عن طقس ديني يتمّ فيه اختيار الضجيع المناسب للملكة ليقوم بمراسم الزواج الموسمي. أمّا طقس الاستسقاء، فكان درامياً في جوهره؛ لأنّه يقوم على صراع الخصوبة (المرأة ونثرها لشعرها)، مع الجفاف وتذبذب المطر، ولكن فيه البُعد الديني، حيث يجري تحت رعاية الكاهنات والناس الذين يشكّلون النظارة، والذين يترقبون الطقس، ويعيشون فيه. أمّا الزواج المقدّس، فهو الطقس والعيد الأكبر، حيث تقع المرأة الكاهنة التي تمثل الإلهة الأم في مركزه وهي زعيمته». (**الماجدي**: 2013: 115).

إذاً، الزواج هنا كان طقساً يحاكي دورة الخصب والحياة والنماء، وكون الإلهة أنثى كان من يمثّلها على الأرض الكاهنة العظمى التي ستنتقي زوجها ليتمّمَ معها طقس الحبّ ليعمّ النماء على الأرض، هذا الطقس فسح المجال للمرأة لتتسيّد عرش المؤسّسة الدينيّة، فكان موظفو المعابد وخدم المعابد كلّهم من الكاهنات على أنواعهنّ يعملنَ لخدمة هذا المعتقد.

هنا الزواج لا يشبه مفهوم الزواج الحالي؛ بل هو يمثّل اللقاء الجنسي الحقيقي بين الكاهنة العظمى والملك، وهذا الزواج عبارة عن المراسم الرسميّة التي أصبحت ترافق صعود الملك إلى سدّة الحكم، ومنحه البركة لتكون البلاد بخير ونماء وسلام.

يشير مرسيا إلياد إلى مفهوم المقدّس وتقليده في كتابه (**المقدّس والعادي**): «لا يخلو من فائدة أن نلاحظ أنّ الإنسان الديني يضطلع بإنسانيّة ذات أنموذج يعلو-على-الإنساني، أنموذج متعالٍ. فهو لا يعترف بأنّه إنسان حقاً إلّا بقدر ما يقلّد الآلهة، أو (الأبطال) الذين أسّسوا الحضارات، أو (الجدود) الأسطوريين. الإنسان

الديني يصنع أنموذجه الخاص الذي يترتّب عليه بلوغه مستوى يعلو على الإنساني، المستوى الذي تكشفه الأساطير. إنّ المرء لا يصبح إنساناً حقاً إلّا بتقيّده بتعاليم الأساطير، إلّا بتقليد الآلهة» (**إلياد**: 1994: 84-85).

قد يخال المرء أنّ الزواج أتى مترافقاً مع الدين تشريعاً وقانوناً إلهيّاً، لكنّ المتتبّع لأقدم «دين» عرفته البشريّة سيجد أنّ الزواج كان طقساً ينسجم مع معتقدات دينٍ آمن بالإلهة الأنثى، وغايته العميقة دينيّاً كانت طقسيّة تجسيديّة لقصة مقدّسة، وتمثيلاً ومحاكاة للطبيعة.

المطلب الثالث: الزواج المقدّس:

أشرنا، في المطالب السابقة، إلى حضور المقدّس في التاريخ القديم منذ الباليوليت الأعلى، وتطوّر هذا الشعور بوجوده ليصبح بمرحلة التجسيد الإلهي، فكان العالم المقدّس نتاج لقاء قدسي بين إله وإلهة يخرج منهما آلهة أبناء وهكذا. وتأسّس الدين القائم على معتقد بوجود هذا العالم القدسي، وأساطير تحكي وتفسّر وتتخيّل سيناريو الخليقة، مع طقوس تعزّز ذاك المعتقد وتتشبّه به، وتعيد بابتعاثه الحياة، وتزيد النماء والخصب.

كان الافتراض قائماً على أنّ زواج الإلهين، على المستوى الميثولوجي الماورائي، هو البادئ والمحرّك لعالم الطبيعة الحيّة. والغرام المستعر بينهما هو الذي يحرّك الدافع الجنسي لدى الأحياء ويضمن تكاثرهم، ويملأ ضروع الماشية باللّبن، ويجعل من البذور الصلبة المدفونة في التربة سويقات وأعشاباً وأشجاراً. وفي ظلّ الإيمان بهذا المعتقد، الذي يمثل صنو الدين، ومحور أساطير الكون، كان لا بدّ من تمثله من خلال طقس يحاكيه، ويتشبّه به، فيكون كلاهما مصدر تأثير بعضهما في بعض، ما يجعل حضور الأوّل يستوجب الثاني، وتمثّل الثاني يحرّض الأوّل، وعليه ظهر طقس الزواج المقدّس.

بدأت ممارسة طقس الزواج المقدّس في مرحلة المجتمعات النيوليتيّة، وتحديداً في حضارة حسونة التي امتدت على (700) سنة (5800-5100 ق.م)[30]، وكان طقساً يعبّر عن لقاء مقدّس بين الآلهة تتخصّب به الإلهة الأنثى، فتمنح الأرضَ الحياة بعد الموت واليباس، وتحيي المراعي والسهول. في ذلك الحين لم تكن تحكم المرأة محدّدات في ممارستها للجنس على الأرض؛ بل كانت تتعمّد به في ظلّ استحضارها أساطيرَ الخليقة لتُخرِج كلّ ما لديها من مشاعر تهب من خلالها البركة والكثرة وتنعش دورة الحياة من جديد.

30- انظر: الجدول رقم 3 من كتاب المرأة والألوهة المؤنثة (كيالي: 2015: 44).

يلفت صاموئيل نوح كريمر (samuel noah Kramer)[31]، في كتابه (**طقوس الجنس المقدّس عند السومريين**)، إلى العقيدة الإيمانيّة للسومريين وهو عالم السومريّات المتميز؛ إذ وجد من خلال الوثائق أنّ «السومريين كانوا يؤمنون بأنّ العالم قد خلقه ويدبر شؤونه آلهةٌ يعملون مجتمعين برئاسة أربعة من الآلهة الخالقة هي: آلهة السماء والأرض والهواء والبحر، وهؤلاء الآلهة رسموا تصميم كلّ شيء لازم للكون وأخرجوه إلى الوجود، من شمس وقمر ونجوم وكواكب ورياح وعواصف وأنهار وجبال وأودية وبوادٍ، وعهدوا إلى واحد أو آخر من أبنائهم مهمّةَ تدبير شؤون كلّ منها. وما إن ظهر الإنسان على الأرض حتى اضطر الآلهة إلى وضع تصاميم للمدائن والعمران والسدود والري والمزارع والحقول، ثمّ تنفيذها وإخراجها للوجود، وتعيين الآلهة ذات الكفاءة من أجل الإشراف عليها، غير أنّ ما يحتاج إليه الإنسان والحيوان أكثر من كلّ شيء، ضماناً لتناسلهما وتكاثرهما، هو الحبّ العاطفي والشهوة التي تؤول إلى الاتحاد الجنسي، وتولد المنيّ المخصب في الرحم وهو ماء القلب، وقد وُضِعَت هذه العواطف الرقيقة واللذيذة في عهدة إلهة الحبّ ذات الجاذبيّة والإغواء والنزعة الحسيّة الشهوانيّة، الإلهة إنانا التي كانت عبادتها في إحدى كبريات المدائن السومريّة مدينة إيريك منذ نحو (3.000 ق.م)، أو منذ أقدم من هذا التاريخ» (**كريمر**: 2006: 88).

ففي البداية، وقريباً من دين الربّة أو دين الإلهة، كان الطقس يعكس تماماً الحال من الاعتقاد بأنّ هناك إلهة للحبّ تمنح الخير والحبّ والنماء، وهي صاحبة الهيمنة وصاحبة الطاقة والقوّة على منح الحياة، وصاحبة الرحم مصدر الخلق. لكن مع تكوّن المدن وظهور الرجل المحارب، والتغيّرات التي طرأت على العقيدة الدينيّة التي أزاحت الإلهة من مركز الأهميّة إلى الهامش، حصل ما يحاكي ذلك على الأرض، فسلطة الأب ممثّل الحاكم بدأت تطغى في الأسرة، والملك أصبح ممثل الإله الذي سيؤدّي الدور الأوّل في قيادة دفة الحكم وتوجيهها إلى حيث تطيب سفنه.

يشرح فاضل عبد الواحد علي[32] ذلك، مشيراً إلى أنّه «عُرف عن سكان وادي الرافدين أنّهم جعلوا لكلّ مدينة إلهاً، وجعلوا له زوجة، ولذلك فقد كانوا يحتفلون سنوياً بزواج الإله من إلهة مدينتهم، وذلك إيماناً منهم بأنّ الزواج الإلهي سيحقق، على غرار زواج ديموزي من إنانا، زيادة في العطاء والخيرات في مظاهر الحياة الطبيعيّة. وهنا يتعيّن التمييز بين نوعين من الزواج المقدّس: أوّلهما، وهو الأقدم، يمثل **الزواج الإلهي** الذي يتعلق بزواج إله المدينة من إلهتها، والثاني هو صورة عن الأوّل، وهو ما يُسمّى **بالزواج المقدّس** (hieros gamos)، الذي يمثل فيه الملك دور الزوج-الإله، بينما تقوم الكاهنة بدور الزوجة-الإلهة» (**علي**: 1999: 107).

31- صاموئيل نوح كريمر (1897-1990) (samuel noah kramer): واحد من أهمّ علماء الآشوريّات في العالم، والخبير العالمي في التاريخ السومري واللغة السومريّة. حصل على تدريبه العلمي في جامعة بنسلفانيا التي اشتهرت ببحوثها وتحرّياتها وتنقيباتها الآثاريّة في الموضع السومري الشهير «نُفر»، وكشفت عن آلاف الألواح المدوّنة في آداب السومريين بصفة خاصّة. من مشهوري الباحثين المتخصّصين في المباحث المسماريّة بوجه عام، والمباحث السومريّة بوجه خاص؛ أي الكتابات والنصوص الخاصّة بالسومريين وبلغتهم. (باقر: 1956: 1).

32- فاضل عبد الواحد علي (العراق 1935-...): خريج جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكيّة، تخصّص السومريّات.

إنّ الحدث الدرامي الذي تتحرّك فيه الكاهنات المقدّسات يعمل على تحيين (actualization) الحدث الأسطوري الذي تَمَّ في الأزمان الميثولوجيّة، وجَعْلِه حاضراً في الزمن الجاري؛ فالطقس الدوري الربيعي لا يتخذ طابع الاحتفال بذكرى ميثولوجيّة؛ بل إنّه يكرِّرها، ويغدو المحتفلون موجودين في زمن الأسطورة، يعايشون الكائنات العليا، ويشهدون تكرار عمليّات الخلق، وكانت الموسيقى تترافق مع الجنس بوصفه شكلاً من أشكال التواصل مع الآلهة، وحثّ الطبيعة على طرح خيراتها الكامنة، فيهطل المطر وتنبت الأرض وتتكاثر الماشية وتخصب أرحام النساء، فضلاً عن «إبقاء جذوة الجنس متّقدة لا يخبو لها أوار» (**السواح**: 1993: 193).

فالأدوار انقلبت كلّما ابتعدنا عن المجتمعات النيوليتيّة، فكان ظهور ديموزي بقصّته الأسطوريّة التي لا تعدو كونها بدعة أو خدعة، حيث يشارك الذكر الإلهة قوّتها المهيمنة على الضمير الديني ومقدرتها على الإخصاب، ومن ثَمَّ يشاركها الخلود، ما يعني أنّ الزواج المقدّس، الذي كان مرماه الظاهري الالتحام بالإلهة، أخفى في باطنه نوايا لإقصاء الإلهة، والتفرّد بالحكم بأمر الإله الذكر، وتطويع النساء لخدمته على الأرض، بدلاً من أن يتحكّمنَ فيه بفعل تميزهنَّ وتفردهنّ بالرحم.

وهذا ما يعبّر عنه الماجدي في كتابه (**إنكي**)، مطلقاً عليه اسم «الثورة الكالكوليتيّة»، التي أطاحت المرأة، وهي «ثورة ذكوريّة نتج عنها مفردات دينيّة جديدة كثيرة، وحلّت المدينة محلّ القرية، وظهر المعبد مركزاً للمدينة، وازداد الدين تعقيداً، وبدأ يتزحزح دور المرأة المركزي، فظهر إلى جانبها الإله الأب والإله الابن، وأصبح أبو السماء بأهميّة الربّة الأم - الأرض، وأصبح الناس في معتقدهم يعتبرون أنّ ماء السماء هو المني الذي يخصّب الأرض» (**الماجدي**: 2013: 117).

الإلهة الأم انسحبت أمام الإلهة الابنة إنانا لتشكّل مع ديموزي الإلهين الحبيبين المسؤولين عن إنتاج الخصب والنماء والحياة، ما استدعى طقساً محاكياً هو **طقس الزواج المقدّس** الذي يتمّ ما بين الملك، ممثلاً في الإله ديموزي، وما بين الكاهنة العظمى[33] ممثلةً في إنانا.

يؤكّد كريمر ما ذهب إليه البحث لدور ديموزي المختلق أصلاً، فيشير إلى أنّ «الإلهة المسؤولة عن الحبّ والشهوة كانت هي الإلهة الأنثى منذ التاريخ القديم، ولم تمضِ فترة على هذا التاريخ؛ أي تاريخ الاعتقاد بإلهة الحبّ، حتى راح بعض الكهنة ورجال اللّاهوت والمفكّرون وذوو المخيّلة في مدينة إيريك يعتنقون فكرة تدخل الاطمئنان والبهجة على القلب، وهي أنّ مليكهم قد أصبح عاشقاً وزوجاً للإلهة إنانا، وبذلك يشاركها قوّتها وقدرتها على الإخصاب التي لا تقدّر بثمن كما يشاركها الخلود. وهذا ما يستند إليه

33- السيّدة الإلهة (nin-dingir الكاهنة العظمى): تُسمّى بالأكديّة (إينتو)، وتشغل أرفع وأسمى وأقدس رتبة. لها مكانة اجتماعيّة ودينيّة عظيمة، وتُعدّ قرينة الإله. لها غرفة في أعلى المعبد، وهي المرشّحة لطقوس الزواج المقدّس. وبالإضافة إلى هذا تقوم باستطلاع الفأل والعرافة وعادة ما تكون ابنة أو أخت الملك (كيالي: 2015: 124).

كريمر في كيفيّة ظهور طقس الزواج المقدّس الذي يضمّ ديموزي، الذي يُعتقد بأنّه كان أحد حكّام إيريك المرموقين، وإلهتها إنانا الشهوانيّة الشهيّة التي تحظى بكلّ احترام». (**كريمر**: 2006: 89).

ففي حين كانت الكاهنة العظمى ممثلة الإلهة هي مانحة البركة للسلطة، وبيدها تقرير مصير الحكم، أضحت تلك السلطة لاحقاً تتعمّد بزواج مقدّس مع الملك ممثل الإله. تؤكّد ذلك مارلين ستون، فالاتحاد الجنسي المقدّس مع الكاهنة العليا منح الزوج الملك وضعاً امتيازيّاً؛ ففي سومر وبابل في الأحقاب التاريخيّة تحدّد الربّة بعد الزواج المقدّس مصير الملك للسنة القادمة، لكن في الأيام الأكثر قدماً كان مركز الملكيّة أبعد من أن يستمر، فالذكر المختار يمارس حقوقه الملكيّة لفترة معيّنة من الزمن وفي نهاية هذا الزمن (ربّما سنة، تبدأ من الاحتفال الذي يجري سنوياً، ولكن تدلّ السجلّات الأخرى على فترة أطول من مناطق معيّنة)، عندئذٍ، يُضحَّى طقوسيّاً بهذا الفتى (**ستون**: 1998: 140).

فالزواج الإلهي تمّ تمثيله بزواج سياسي غايته ضمان الحكم وضمّ الدول، وتوسيع التحالفات، وهذا ما يفسّر كون الكاهنات من نخبة النساء وبنات الملوك، فعمليّة تبادل النساء كانت من أهمّ العوامل التي أسهمت في بناء الإمبراطوريّات الكبرى.

لم يكن هذا الطقس حكراً على الكاهنة العظمى؛ بل تعدّاها إلى الكاهنات الأخريات وحتى للنساء العاديّات، لينسجم مع الإيمان بدين الخصب، حيث إنّ جذوة المشاعر والحبّ والجنس جزء لا يتجزّأ منه؛ حيث بقي طقساً له حضوره، على الرغم من تشريعات الألفيّة الثالثة التي منعت التعدديّة على المرأة، كما سنشرح في المطالب القادمة.

يشير إلى ذلك فاضل عبد الواحد علي[34]، في كتابه (**عشتار ومأساة تموز**)؛ إذ يقول: «على الرغم من اقتصار المرأة على رجل واحد، وكون استسلامها لرجل غريب حتى في تأدية طقوس الزواج المقدّس أمراً لا يتفق مع العرف السائد، بقيت قوّة الاعتقاد بهذه الطقوس وبضرورة إقامتها لفائدة المجتمع البشري الدافعَ لجعل المجتمع يقوم بتكريس بعض الفتيات في المعبد ليقمن من خلال ممارسة البغاء بدور إلهة الخصب ذات العشاق العديدين». (**علي**: 1999: 120).

إذاً، في المحصّلة يمكننا أن نميز ما بين نوعين من الزواج المقدّس: أوّلهما، وهو الأقدم، يمثل الزواج الإلهي الحاضر في المخيال وفي الاعتقاد، ويجري بين إله كلّ مدينة وإلهتها، أمّا النوع الثاني، فهو الزواج

34- تكمن أهميّة دراسات فاضل عبد الواحد في اختصاصه في السومريّات، ومعرفته باللغة السومريّة، بالإضافة إلى اللغات الأخرى كالأكديّة والآراميّة، وهو واحد من القلائل الذين يجيدون قراءة هذه اللغة بسهولة.

http://gilgameshalsumari.wixsite.com/gilgameshalsumari/fadhl-abd-alwahd-aly. (28-10-2017), (19: 20).

المقدّس الذي يمثل الأوّل ويحاكيه؛ حيث يحقق غايتين: الأولى محاكاة المعتقد ليعمّ الخير والنماء، والثانية منح الرجل البركة والرضا، ترسيماً للحكم، وهذا الذي سيتغيّر كلّما ابتعدنا عن حضارة سومر ليتحوّل إلى بقايا طقس يمارس في المعابد، كما سنرى في المطلب اللّاحق.

لم تكن الفكرة في تجسيد الزواج المقدّس تجسيداً لممارسة مفتوحة ومعلنة للجنس وكأنّها طقس للممارسة المدنّسة، إنّما تعكس مدى قدسيّة هذا الحدث وأهميّته في ضمان السعادة والرفاه والكثرة العدديّة، كيف لا وهو يتمّ ما بين الملك ممثل الإله، والكاهنة ممثلة إلهة الخصوبة والفتنة والشهوة الطاغية والحبّ، إنّها تَعدّ المتعة الجنسيّة التي تقدّمها محاكاة سحريّة تؤدّي بالضرورة إلى زيادة الخصب والحبّ والخير في الكون.

وهكذا تتمّ إعادة تجسيد المشهد الأسطوري، فتقوم الكاهنة العليا بدور الإلهة، بينما يقوم الملك بدور ديموزي، ويتمّ الاحتفال في المعبد الرئيس، حيث تبدأ الطقوس الخاصّة بالزواج المقدّس، فيتوجّه الملك إلى مخدع الكاهنة المقدّسة، وممارسة الجنس هنا تعبّر عن استدعاء رمزيّة الخصب، وجلب رضا الآلهة ليغدو العامُ عامَ خير ونماء (**دالي** [35]: 1997: 278).

وهذا يكشف لماذا كانت الكاهنة العظمى من سلالة الملوك. وهذا الزواج أصبح الطقس الرسمي لتقلّد مناصب الحكم بمباركة من السماء، وارتبط بالمعبد وبالدين، وحمل صفة القداسة، وهو ما سيرسم صورته لاحقاً في التشريع، وفي نصوص القوانين.

المطلب الرابع: البغاء المقدّس:

شرحنا في المطلب السابق كيف أنّ الاعتقاد الميثي انبنى على وجود تزاوج على مستوى الآلهة، وهذا الزواج هو المحرّك للكون، وهو الذي يضخّ الدم في عروق الحياة. وهنا تعبير «الزواج» هو هذا الالتحام الجنسي الكامل والعلاقة الجسديّة الكاملة بين شريكين، قام الإنسان في الحضارات القديمة بتقليده على المستوى الطقسي الديني سحراً يعتمد على مبدأ المحاكاة والتشابه، فيكون الطقس منسجماً مع المعتقد، ومُقاماً لغاية مشابهة. وقد تكون الطقوس إلى الآن تتخذ المنهجيّة نفسها في محاولتها تقليد الحدث لإحداثه، تقليد المطر لجعل الطبيعة تستجيب وتمطر، وتقليد الحبّ والعناق ما بين السماء والأرض وتلقيح الرحم ليكون هناك عناق بين المطر والتراب وخروج للبراعم، وامتلاء الضروع باللبن، وخروج الحياة إلى النور.

35- ستيفاني ماري دالي (...-1943) (stephanie mary dalley): باحثة بريطانيّة في الشرق الأدنى القديم. تُعدُّ ترجمتها للأساطير واحدة من أهمّ الترجمات وأدقها. انظر الملحق رقم 2 في نهاية البحث.

https://www.archaeological.org/lecturer/stephaniedalley. (23-11-2017), (18: 30).

إناء حجري من أوروك، ارتفاعه 105 سم (41 بوصة)، زهاء (3000 ق.م). تمثل الأعمدة الثلاثة موكباً تعبديّاً. يقود الموكب في أعلى الإناء رجل يقترب من امرأة محتجّبة بعباءة، إمّا أن تكون الإلهة إنانا وإمّا كاهنة تمثلها، والرجل هو عريسها في طقس الزواج المقدّس (**ساكز**: 2009: 81).

«إنّ طقس ممارسة الجنس كان طقساً دينيّاً له شرعيّته في سومر، فكانت هناك كاهنات يتمّ اختيارهنّ لتقمّص الربيع عبر أداء الطقس الجنسي الرمزي، الذي يتمّ مع الملك وقد حلّ بجسده الإله ديموزي، إلى جانب طقوس الخصب، وترتيل الأناشيد، والرقص التعبّدي المتنوّع الأشكال، حسبما دلّت دراسة حركة الأجساد في الرسوم والمنحوتات»[36] (**كيالي**: 2015: 124)[37].

وكانت الكاهنات ينحدرنَ من أسرٍ مرموقة؛ بنات حكّام وملوك نذرنَ أنفسهنّ للخدمة في المعبد منذ صغرهنّ.

ونصل هنا إلى مواجهة سؤال حقيقي يفرض نفسه: ما موقف المؤرّخين من هذا الطقس؟

حاول الإجابة عنه المفكّر المصري السيّد القمني في كتابه (**الأسطورة والتراث**)، حين تساءل بدوره عن القربان الذي يليق بالأم المخصّبة الشبقة الولود المنجية مانحة الحياة، مبيّناً أنّ «هناك ندرة في القرابين الحيّة التي قُدّمت لإلهات إناث، مقابل ما تمتلئ به المصادر عن أنواع القرابين الحيّة التي كانت تُقدَّم لآلهة ذكور»، والجواب كان، من وجهة نظره، هو في طقس الجنس الجماعي الذي كان يمارس في جوار معبد الآلهة. ويستشهد بقول جيمس فريزر، من حيث إنّ «مثل هذه العادة كانت منتشرة في كثير من أصقاع آسيا الغربيّة. ومهما يكن الدافع لذلك، فإنّه لم يكن مجرّد انغماس في الفسق الشهواني؛ بل كان واجباً دينيّاً خطيراً يقام به خدمةً للإلهة الأم العظمى». (**القمني**: 1999: 119).

ونحن إذ نوافق القمني في أنّ طقس الجنس الجماعي لم يكن في البداية انغماساً شهوانيّاً، وإنّما ممارسة دينيّة، لا نرى أنّ ذلك الطقس حافظ على غائيته لاحقاً بوصفه خدمةً للآلهة، بقدر ما أصبح فخّاً نصبه الرجل

36- شهدت الحضارة المصريّة ممارسات شبيهة بتلك التي مثّلت نوعاً من العبادة والسحر التشابهي الذي يتمّ من خلاله ممارسة الحبّ وتحقيق المتعة بين الرجل والمرأة للتأثير في الطبيعة؛ مانحة العشب والثمر والماء، ودون أن تعني العذريّة شيئاً؛ بل إنّ انتهاكها لم يكن بالأمر المهين، فكانت النساء يتمتّعن بحريّتهنّ طول مراحل العزوبيّة.

وكانت حتحور 1 إلهة الجاذبيّة الجنسيّة والحبّ بلا قيود، وكانت عابدات حتحور يستسلمنَ لرغباتهنَّ إلى أقصى الحدود، فليس ثمّة تعاليم تلزم الفتيات بصون عذريتهنّ حتى الزواج؛ بل كنّ يتعلّمن فنون الحب ويمارسنها على هواهنّ دون أن ينتظرن، بنفاد صبر، زوج المستقبل. (فريشاور: 2007: 107).

37- ميادة كيالي، (سورية 1964-...) انظر الملحق رقم 2 نهاية البحث، من موقع مؤمنون بلا حدود، 30 حزيران/ يونيو 2014:

http://www.mominoun.com/auteur/324. (11-12-2017), (22: 35).

لإخضاع المرأة عبر التستّر بالمؤسّسة الدينيّة، والإله الذكوري، وفي ظلّ سيطرة المجتمع الأبوي الذي أخضع جسد المرأة لشهواته، وقيّدها عن ممارسة حرّيتها في أن تقيم تلك العلاقة الجسديّة مع من تشاء.

ليس هذا فحسب؛ بل يجب أن نفرّق هنا بين طقس الزواج المقدّس، الذي أضحى ممارسة جنسيّة تعبديّة داخل المعابد، والذي أطلق عليه تعبير الدعارة المقدّسة، وبين الدعارة التجاريّة، ومن ثمّ أن نفرّق ما بين الكاهنة أو المنذورة التي تهب نفسها للمعبد، وبين البغيّ التي تأخذ المال مقابل خدماتها الجنسيّة. لقد حصل هذا الالتباس عند الكثير من المؤرّخين، فتمّ الخلط ما بين ما تقدّمه الكاهنة من طقوس الجنس أو أيّ امرأة أخرى بوصفها طقساً تعبديّاً، وما بين البغيّ التي تقدّم الجنس مقابل المال.

وهذا ما نوّه إليه الماجدي في متون سومر؛ إذ إنّ البغيّ امرأة عاديّة كانت تمارس فنّ الحبّ والجنس، وليس لها بالمعبد أيّ صلة لا من قريب ولا من بعيد، وقد أتى إلصاق هذه التهمة بالكاهنات من ثلاثة مصادر:

1- «ممّا قاله هيرودوتس[38] إنَّ على الكاهنات البابليّات أو النساء البابليّات جميعاً ممارسة البغاء ولو مرّة في العمر، وهو لم يزر بابل قط؛ بل كتب عنها متأثراً بالبيئة الإغريقيّة التي كانت تمتهن المرأة، وتجبرها على أن تكون مومساً قبل الزواج.

2- الترجمة الخاطئة للدير على أنّه الماخور.

3- الزواج المقدّس الذي هو طقس مقدّس يجري بين أعظم الكاهنات والإله الممثل بالملك. وقد وجد الباحثون الغربيّون أنّ هذا الطقس نوع من البغاء عمّموه على كاهنات العراق القديم» (**الماجدي**: 1998: 278).

ومن المفيد أن نشير هنا إلى ما أورده طه باقر عن هيرودوتس بأنَّ الإفادة من أخباره عن أحوال العراق القديم لا تتمّ إلّا بعد نقد تلك الأخبار، ويدخل في ذلك التعرّف إلى شخصيّته وطريقة روايته للأخبار والحوادث، فهو مولعٌ بسرد القصص والحكايات والأساطير، خالطاً إيّاها، في كثير من الأحايين، بالأخبار التأريخيّة دون أن ينبّه إلى الحدّ الفاصل ما بين الاثنين، كما توجد شكوك في أنَّ هيرودوتس زار في الواقع بلاد بابل؛ بل إنَّ الأخبار التي ذكرها عنها استقاها بالدرجة الأولى من مشاهدين آخرين. (**باقر**، ج1: 2009: 125).

38- هيرودوتس (425-480) (herodotus ق.م): الملقب بأبي التاريخ. كان أوّل من استعمل مصطلح «هيستوريا» (historia) للتأريخ وأصل كلمة تأريخ في معظم اللغات الأوربيّة.

https://www.britannica.com/biography/herodotus-greek-historian. (6-3-2018), (22: 45).

علّلت مارلين ستون الدعارة المقدّسة بطريقة أكثر واقعيّة، ففي حين كان بعض الأركيولوجيين يفترضون أنَّ تلك العادات الجنسيّة للمعابد، التي برزت وتكرّرت في دين الإلهة، وظهرت في المراحل التاريخيّة القديمة في الشرقين الأدنى والأوسط، يجب أن يُنظر إليها على أنَّها نمط من السحر الرمزي البدائي لتحريض الخصب في القطعان والنباتات كما في البشر أيضاً، كانت ستون تعتقد «أنَّ هذه الممارسات تطوّرت نتيجة الوعي القديم جداً وفهم علاقة الجنس بإعادة الإنتاج، وبما أنّ هذا الارتباط لوحظ أوّلاً في النساء، فقد دخل في بنية الدين وسيلةً لضمان النسل بين النساء اللّواتي اخترن الحياة والاهتمام بالأطفال داخل مجتمع المعبد، وكذلك يحتمل أيضاً أن يكون طريقة لحَبَلٍ منظّم». (**ستون**: 1998: 158). طرحُ ستون حقيقيٌّ؛ فهناك رتب من الكاهنات ممنوع عليهنَّ الزواج، فكان لا بدّ من علاقات مفتوحة تؤمّن استمرار النسل، وانتقال ثروات الكاهنات إلى أبنائهنّ وبناتهنّ.

إنّنا نرى أن انتشار الدعارة، سواء المقدّسة أم التجاريّة، كان بسبب نشوء النظام الأبوي، وفي ظلّه، فالنظام الأبوي إحدى أهمّ صفاته التحكّم في جنسانيّة المرأة، وإخضاعها، وهذا ما حدث بالفعل منذ الألفيّة الثالثة قبل الميلاد، واستحكم وتأسّس بالكامل في الألفيّة الثانية، مع شريعة حمورابي، كما سنأتي على ذكره على التوالي.

إنّ مأسسة الجنس، وتحوّله إلى دعارة وتجارة، لهما من المؤكّد علاقة بحالة المجتمعات وطريقة التضييق على الجنس؛ تجارة ستكون ضعيفة ونادرة في المجتمعات التي تسمح بالجنس، وستكون ظاهرة في المجتمعات التي تكبحه، لكنّ السؤال هنا: هل التضييق على المرأة في الحضارات القديمة، ومن ثَمَّ حرمانها من التعدديّة، هو الذي كان وراء انتشار الدعارة؟

يشير إفان بلوخ (iwan bloch)، في دراسته لتاريخ الدعارة التي نال عليها درجة الماجستير، إلى أنَّها تطوّرت في المجتمعات بوصفها منتجاً فرعيّاً لتنظيم الجنسانيّة: «تظهر الدعارة بين البدائيين أينما تقلص الجماع الجنسي الحر أو صار محدوداً. وليست شيئاً سوى كونها بديلاً لشكل جديد من الاتصال الجنسي غير الشرعي والبدائي» (bloch 1912: 71-70). قد يكون هذا حقيقة وواقعاً إلّا أنَّه لا يعبّر عن الظروف والأوضاع التي أدّت إلى مأسسة الدعارة، فهي واقع تجاري حدث وتشكّل وفرض وجوده ونظمه، وليس ببساطة شكلاً بديلاً لشكل قديم من علاقات جنسيّة حرّة. لقد حاول باخوفن ومورغان أيضاً البحث في أسباب ذلك، كما أشرت في مكان سابق من البحث، وقلت حينها إنّ مأثرة باخوفن تكمن في ربطه التغيّرات الجنسانيّة بالمعتقدات الدينيّة، أمّا إنجلز، فقد أضاف إلى ذلك أنَّ التغيّرات في الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في نشأة الملكيّة الخاصّة ومأسسة العبيد قد أثّرت في العلاقات الجنسيّة.

استناداً لرأي باخوفن، هذا حقيقي؛ حيث تؤكّد المعتقدات الدينيّة في الرافدين أنَّ البابليين القدماء كانوا يعتقدون أنَّ الإلهات والآلهة يسكنون بالفعل في هياكل المعابد، والكاهنات برتبهنّ العديدة والكهّان كانوا يسهرون على رعاية تلك الآلهة وعلى راحتها، وهذا يتساوق تماماً مع الإيمان بالخصب جوهرِ البقاء، لذلك لا بدّ من أنَّه في ظلّ هذه المعتقدات تطوّرت طبقةٌ من كاهنات[39] المعبد، اللّواتي يقدّمن خدماتهنّ الجنسيّة للناس ضمن طقوس دينيّة، ومن ثَمَّ هذا الجنس يمثّل طقساً دينيّاً، أو كما أطلق عليه الباحثون «الدعارة الدينيّة»، أو «الدعارة المقدّسة». وهذا ما يدعمه الوضع المالي الذي كانت تعيشه كاهنات المعبد، فهنَّ ينحدرنَ من أسرٍ عريقة وغنيّة. وكما سنلاحظ في القوانين القادمة في البحث في شريعة حمورابي والشرائع الآشوريّة، تأخذ الكاهنات هدية الزواج «البائنة» من آبائهنَّ، نظراً لأنهنّ منذوراتٌ للمعبد ولا يتزوجنَ، فالدعارة المقدّسة لم تكن لغاية المال؛ بل لغاية المعتقد. وهذا ما يؤكّد ما تصوّرته ستون من سببٍ للدعارة المقدّسة وهو حصول الكاهنات على الأبناء.

من جهة أخرى، واستناداً إلى رأي إنجلز، يمكن أن نفهم سبب الدعارة التجاريّة، التي ساقتها الملكيّة الخاصّة والطبقيّة، ولاسيّما طبقة العبيد، التي ساعد على ظهورها الحروب والتعداد الكبير للأسرى، فقد قادت الفتوحات العسكريّة في الألفية الثالثة قبل الميلاد إلى استرقاق النساء الأسيرات واستغلالهنَّ جنسيّاً. وبعد أن أضحت العبوديّة مؤسّسة قائمة بذاتها صار مالكو العبيد يؤجّرون الإناث المستعبدات بوصفهنّ عاهرات، وكانت تلك هي المرحلة التي تمّ فيها تأسيس الحريم، إضافة إلى ما حصل من إفقار للمزارعين واعتمادهم المتزايد على القروض لكي ينجوا في فترات المجاعة، فكان أطفال الجنسين يُباعون وفاءً أو رهناً للدَّيْنِ أو للتبنّي. ومن ثمّ طوّرت ممارساتٌ كهذه دعارةَ أعضاء الأسرة الإناث لصالح ربّ الأسرة، في نظام أسريّ ذكوري يهيمن فيه الأب على كلّ أفرادها، وكان هذا أساس تأسيس الدعارة في منتصف الألفيّة الثانية قبل الميلاد، لتكون مهنة محتملة للبنات الفقيرات (**ليرنر**: 2013: 262-243).

39- 1- السيّدة الإلهة (nin-dingir الكاهنة العظمى): ورد تعريفها في هامش سابق.

2- الراهبة (لوكر: luker): تُسمّى بالأكديّة ناديتو (naditu)؛ أي النادية، وهي المرأة التي نذرها أبوها للخدمة في المعبد، وكان لكلّ إلهة نادية، وكانت وظيفتها إداريّة، وكان ممنوعاً على هذا النوع من الكاهنات الزواج أو الإنجاب.

3- القديسة (نوكك: nu.gig): تسمّى بالأكديّة (قديشتو: quadishtu) وتعني الخالية من الأمراض باللغة السومرّية، وقد ترجمها بعض الباحثين ببغي المعبد ما أساء إليها. وكان السبب في هذه المغالطة ترجمة عالم الآثار (jensen) للمكان الذي تسكنه الكاهنات الناديتو وهو (gagumi) فقال إنّه (الماخور brothel) ما صبغ عبادة هذه الكاهنة بالبغاء داخل المعبد.

4- المنذورة (نوبار nu.bar): وهي من تنحدر من عائلة عريقة ولها حقّ الزواج، ولم تكن تعيش في المعبد؛ بل كان مسموحاً لها أن تعيش في بيت أبيها.

5- المرافقة (سوكي: ge su.): كان من مهامّها المشاركة في احتفالات الزواج المقدّس، وإنجاب الأطفال لصالح النادية التي كان محرّماً عليها الزواج.

6- الحاجبة (سال-زكروم: sal.zikrum): ترجمها البعض إلى المرأة الذكر أو الخنثى، وهي راهبة لها علاقة بالمعبد، وغير منذورة لإله معيّن، وتقوم بإحضار من يقومون بالخدمة في القصر أو المعبد وذلك عن طريق التبنّي». (الماجدي: 1998: 276-278).

بيبليوغرافيا

الكتب

- إلياد، مرسيا، المقدّس والعادي، ترجمة عادل العوّا، صحارى للصحافة والنشر، بودابست، 1994.
- إنجلز، فريدريش، أصل العائلة والملكيّة الخاصة والدولة، ترجمة إلياس شاهين، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، 2014.
- باقر، طه: مقدّمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1، دار الوراق المحدودة، لندن، 2009.
- بوتيرو، جان، بابل والكتاب المقدّس: محاورات مع هيلين مونساكريه، ترجمة روز مخلوف، دار كنعان، دمشق، ط2، 2005.
- دالي، ستيفاني، أساطير من بلاد الرافدين، ترجمة نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1997.
- ديورانت، ويل وأرييل، قصّة الحضارة، نشأة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محمود، المجلد الأوّل، دار الجيل، بيروت، 1988.
- ساكز، و.ف.هنري، البابليون، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، 2009.
- ستون، مارلين، يوم كان الربّ أنثى، ترجمة حنا عبود، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1998.
- السوّاح فراس، دين الإنسان: بحث في ماهيّة الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، ط4، 2002.

  * لغز عشتار، دار علاء الدين، دمشق، ط8، 2002.
- علي، جواد، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1993.
- فريزر، جيمس، الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، ج1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ترجمة بإشراف أحمد أبو زيد، القاهرة، 1971.
- القمني، سيد، الأسطورة والتراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ط3، 1999
- كريمر، صاموئيل نوح، إينانا وديموزي: طقوس الجنس المقدّس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، دار العربي، دمشق، ط6، 2006.
- كيالي، ميادة، المرأة والألوهة المؤنثة في حضارات وادي الرافدين، مؤمنون بلا حدود، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2015

- الماجدي، خزعل

* كتاب إنكي، الأدب في وادي الرافدين، ج1، مؤمنون بلا حدود، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2013.

* علم الأديان: (تاريخه، مكوّناته، مناهجه، أعلامه، حاضره، مستقبله)، مؤمنون بلا حدود، بيروت، 2016.

- ليرنر، غيردا، نشأة النظام الأبوي، ترجمة أسامة إسبر، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، 2013.

- ويسترمارك، إدوار، موسوعة تاريخ الزواج: الإباحيّة الجنسيّة البدائيّة، قيمة العذريّة، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات، بيروت، 2001.

المرجع الأجنبيّة

- bachofen, j.j, das mutterecht, verlag von krais & hoffmann, (1861).

- eller, cynthia, gentlemen and amazons: the myth of matriarchal prehistory, (1861-1900), university of california press, berkeley and los angeles, california, march 8, (2011).

- Engels, friedrich, origin of the family, private property, and the state, resistance books, Australia, (2004).

- Lewis henry Morgan, ancient society, Tucson: the University of Arizona press, 1995.

المواقع الإلكترونيّة

https://www.britannica.com/biography/johann-jakob-bachofen.

https://www.cgu.edu/people/cynthia-eller/.

https://www.britannica.com/topic/the-creation-of-patriarchy.

https://www.britannica.com/biography/charlotte-perkins-gilman

https://www.britannica.com/biography/john-ferguson-mclennan

https://global.britannica.com/biography/george-smith-british-assyriologist.

http://gilgameshepic.com/translation.html.

https://global.britannica.com/biography/edward-westermarck.

https://www.britannica.com/biography/lewis-henry-morgan.

https://www.britannica.com/biography/will-durant-and-ariel-durant.

http://gilgameshalsumari.wixsite.com/gilgameshalsumari/fadhl-abd-alwahd-aly.

https://www.archaeological.org/lecturer/stephaniedalley.

https://www.britannica.com/biography/herodotus-greek-historian.

موقع مؤمنون بلا حدود:

http://www.mominoun.com/articles

موقع مؤمنون بلا حدود:

http://www.mominoun.com/auteur

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018